قضية تجديد الخطاب الديني

(التجديد في مجال التفسير والدراسات القرآنية)

بحث مقدم ضمن مجموعة من الأبحاث العلمية

لنيل درجة أستاذ مساعد في اللغة العربية

والدراسات الإسلامية

الدكتور / محمد إبراهيم أحمد رجب

مدرس منتدب بكلية التربية جامعة الأسكندرية

فرع مطروح

قال تعالي:

سورة الاسراء الآية (٨٢)

قضية تجديد الخطاب الدينى

التجديد فى مجال التفسير و الدراسات القرانية

الهدف من البحث : المشاركة فى رسم خطة للتجديد فى مجال التفسير وعلوم القران و الدراسات القرانية

عناصر البحث

١- معنى التجديد – مصطلحات البحث – انواع الخطاب الدينى
٢- رؤى بعض العلماء و المجددين فى الاسلام
٣- استنباط الاحكام التشريعية من القران الكريم و دور التفسير فيها
٤- المسيرة التجددية للخطاب الدينى عبلر تاريخ الاسلام
٥- التدرج التاريخى لقضية تجديد التفسير
٦- دور المستشرقين فى تجديد التفسير القرانى
٧- التجديد فى الدراسات القرانية و منها علوم القران
٨- اسهامات القران الحديثة فى فى حل مشكلات العالم

خطة البحث

اولا : الهدف من البحث

ثانيا :يتكون من ثلاثة فصول و كل فصل يشتمل على عدة مباحث

ثالثا :تجارب عملية لتطوير و تحديث الدراسات القرانية فى الوطن العربى

الخاتمة و التوصيات

١- يهدف لتطوير مجالات التفسير و علوم القران و الدراسات القرانية
٢- المشاركة فى عملية تجديد الخطاب الدينى عامة و التفسير خاصة

RENEWAL OF RELIGIOUS SPEECH ISSUE

Renewal in the field of interpretation and Quranic studies

THE AIM OF THE RESEARCH: Participating in drawing up a plan for renewal in the field of interpretation, Quranic sciences and Quranic studies

SEARCH ELEMENTS

1- Meaning of renewal - search terms - the types of religious speech

2- visions of some scholars and innovators in Islam

3-the assumption of legislative provisions from the Koran and the role of interpretation

4-The Renewal Process of the Religious Speech through History of Islam

5-Historical hierarchy of the issue of renewal of interpretation

6-The role of orientalists in the renewal of the Quranic interpretation

7-renewal in the studies of the Koran, including the Koran sciences

8 - Contribution of modern Quran in solving the world's problems

SEARCH PLAN

First: The purpose of the research

Second: It consists of three chapters and each chapter includes several topics

Third: Practical experiments to develop and update Quranic studies in the Arab world

CONCLUSION AND RECOMMENDATIONS

1-Aiming to develop areas of interpretation and the sciences of Quran and Quranic studies

2-Participation in the process of renewal of religious speech in general and interpretation in particular

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد صلي الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسانه الي يوم الدين ...وبعد.

كتير من العلماء من ينادي بتجديد الخطاب الديني ، ويذهب كل واحد للتجديد حسب وجهة نظره ورؤيته ، فمن يضع قواعد وأسس للتجديد ويسير علي هذه القواعد والأسس فيصل إلي نتيجة طيبة يساهم في إثراء الحياة العلمية والدينية والثقافية ومنهم من يبالغ ويخلي في نظرية للتجديد فيأتي بالعجب العجاب من الأقوال والأفكار التي تهدم وتضع سياجا حاكما علي العقل والقلب وبين هذا وذاك : توجد طائفة من العلماء تأخذ لنفسها خطا وسطاً يجمع بين الأصالة والمعاصرة ،بين القديم ومتطلبات العصر الحديث فلا تهمل آراء السابقين وأفكار المتقدمين بل تأخذها بعين الإعبتار والإنصاف ،وتضيف عليها بما يتماشي ويحتاج إلية الناس في الأزمنة المتأخرة والأيام المعاصرة وهذه الطائفة هي التي يكتب لها البقاء ويستمر منها العطاء ل،ها هي التي احترمت القديم وقدرت الجديد .

ومن خلال تخصصي العلمي والديني قمت بدارسة عن(تجديد الخطاب الديني) وأخذت مثالا علي هذا التجديد وجعلت عنوانه:

(التجديد في مجال التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية).

وقمت بجمع أراء السابقين ورؤية المعاصرين وزاوجت بين الرؤيتين وخرجت برؤية تجمع ولا تفرق وتبني ولا تهدم.

وكان هدفي من هذه الدراسة الإسهام بقدر ولو بسيط في تجديد الخطاب التفسيري وعلوم القرآن والمشاركة في الدراسات القرآنية ، وفتح باب لبعض الباحثين الجادين في إستكمال هذه الرؤية أو القاء مزيداً من الضوء عليها ، وتطبيقها في الحياة المعاصرة ليستفيد منها المسلم المعاصر

ويزداد الإرتباط بين القرآن الكريم والتفاسير والتمسك بالأراء الصائبة والبعد عن الأراء الشاذة والباطلة ، والوقوف في وجه بعض الفرق الضالة ومحاولتها جر النص الديني (قرآن أو سنة أو تفسير علماء) لتبرير اقوالهم وأفعالهم الفاسدة.

وأخيراً : إبراز عطاء النص الديني المتجدد علي طول الزمان ، وجذب الناس إلي حدائق الإيمان والبعد عن جزر الإلحاد والذي أصبح ينتشر في كثير من بلاد العالم المتدين وغير المتدين ، وأفكار وجود الإله الخالق المدبر الصانع لهذا الكون العظيم

فإن كنت قد أصبت في إبراز هذه الرؤية فهذا من فضل الله وكرمه وإن كنت قد أخطات فهذا من نفسي ومن الشيطان ولا ألوم إلا نفسي :

"فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم" [١] فاللهم وفقنا للصواب وجنبنا إغواءات النفس والشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) سورة إبراهيم الآية رقم (٢٢)

الهدف من الرسالة

(١)- التأكيد علي أن التجديد بالمفهوم الشرعي الصحيح أمر مطلوب وملح وهو أمر شرعي ، وهو مطلب لكل مسلم صادق غيور علي هذه الأمة.

(٢)- إن دارسة التفسير وعلوم القرآن بالمنهج القديم أصبح لا يجدي نفعا ولا يقدم أمة ، ولا يبني عقلاً ، ولا يحفز إنسان إلي دراسة التفسير وعلوم القرآن.

(٣)- ليس بالضرورة أن تجمع تفاسير العصر علي منهج واحد ، وروح واحدة ، إذ حاجة الأمة تستوعب التنوع ، والإختلاف بين المفسرين وعلماء القرآن والدراسات القرآنية الأخري ، وهو حاصل في هذا الميدان.

(٤)- لابد من مواكبة التفسير لحاجات العصر بحيث ينطلق لإصلاح واقع الناس ، وتلبية حاجاتهم الدينية والنفسية والإجتماعية والإقتصادية...الخ.

(٥)- الوقوف في وجه الحركات الفكرية والتيارات العلمانية ومحاولتها جر النص القرآني لتفسيراتها الشاذة والبعيدة عن روح النص القرآني ومباديء الإسلام الحنيف ، ومحاولة شرذمة – منهم – تريد تأويل النص القرآني حسب أهوائهم وأهواء من يسايرهم من أعداء الإسلام والمسلمين.

(٦)- إن موقع النص القرآني – في أمة الإسلام – بكل طوائفها ومذاهبها هو محور الفكر الإسلامي منذ النشأة عند نزول قوله تعالي :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [١] إلي اليوم ،

(١) سورة العلق الآيات من (١-٥)

وكل ما أنتجه الفكر الإسلامي لايعدو أن يكون مؤيداً للنص او مساعداً علي فهمه او استنباطاً منه.

(٧)- ضرورة استصحاب علم أصول الفقه ، واللغة العربية ، والبلاغة بعلومها الثلاثة لضبط العملية التفسيرية ، وهذا حل لمشكلة الفهم اللغوي الخاص للدليل الشرعي ، سواء من حيث مقاصده الدلالية، أو متعارضاته الإشكالية [١].

(٨)- وفي النهاية : لابد من وضع تفسير سهل ميسر يدخل علي المعني المباشر لألفاظ القرآن يتناسب مع الأسلوب الوعظي والتربوي والفقهي والعلمي في وقت واحد ، والخروج بمواضيع علوم القرآن عن القوالب السابقة وتسهيلها بما يجذب إليها قلوب وعقول الكبار والصغار وغرس الإيمان في قلوب المؤمنين وربطهم بكتاب رب العالمين .

وأخيراً وليس آخراً إن كنت قد اصبت في ماكتبت من أفكار ورؤي في مجال التجديد في التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية فهذا أفضل كرم وزيادة مَنّ من المولي القدير سبحانه وتعالي ، وإن كان هناك تقصير أو ضعف أو سوء إستخدام عبارة ، أو عدم وضوح مقصد ، فهذا مني ومن الشيطان فاسأل الله تعالي قبول المغفرة وغفران المذلة وأن يلهمنا الصواب وحسن البيان إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) المصطلح الأصول د./ فريد الأنصاري ص ١٢٤ ، ١٢٥ بتصرف ، مفتاح العلوم – السكاكي ص ٤٢١

تخريج حديث التجديد

قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهري أخبرنا ابن وهب اخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة رضي الله عنه فيما أعلم عن رسول الله عليه وسلم قال:

(إن الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مائة سنة من يجدد لها ولدينها) رواه أبو داود – الملاحم حديث صحيح أخرجه أبو داود في السنن رقم (٤٢٩١) وأبو عمرو الداني في الفتن ٧٤٢/٣ ، ٣٦٤ والهروي في ذم الكلام ص ٢٤٦ والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٣٢ والبيهقي في معرفة السنن والآثار ٤٢٢/٢٨/١ ومناقب الشافعي ١٣٧/١

وابن عدي في الكامل ١٢٣/١ وابن عساكر في تبيين كذب المفتري ٥١ – ٥٢ والخطيب في تاريخ بغداد ٦١/٢ والطبراني في المعجم الأوسط ٣٣٣/٦ – ٣٣٤ /٦٥٢٧ وابن حجر في توالي التأسيس بمعالي إدريس ص ٤٦ عن طرق عن ابن وهب : أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد العافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة – فيما أعلم – عن رسول الله صلي الله عليه وسلم :

(إن الله يبعث علي رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)

وقال الألباني في الصحيحة رقم ٥٥٩ والسند صحيح ، رجالة ثقات رجال مسلم وقد صححه الإمام أحمد بن حنبل كما في السير ٤٦/١٠ والله أعلم.

الفصل الأول

١) معني التجديد:

كما جاء في توصيات مؤتمر (التجديد في الفكر والعلوم الاسلامية):

"إن التجديد هو خاصة لازمة من لوازم دين الاسلام، نبه **عليه الرسول صلي الله عليه وسلم** في قوله (إن الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [١]

والتجديد الرشيد هو ما يتآخي فيه العقل والنقل، ويتفاعل مع المتطلبات المجتمعية والدولية.

والتجديد: هو الفهم الجديد لنصوص الوحي الخالدة المعصومة في ضوء اختلاف الزمان والمكان والأحوال ومشكلات العصر وقضاياه ، لما للشريعة الاسلامية من مرونة وسعة تمكنها من إستيعاب كل المستجدات العصرية.

والتجديد لا يعني الإلغاء ولا التبديل ولا التبديد، ولا المساس بالثوابت والمسلمات ، ولا إهدار ما بذله المجتهدون عبر القرون، فاجتهادهم يمثل ثروة فكرية معرفية لا ينبغي تجاهلها. ولذا يجب إنشاء إجتهاد علمي راشد يفقه النص، ويفهم الواقع، ومعطيات العصر مع الإفادة من التقنيات الحديثة [٢]

---

(١) أخرجه الامام أبو داود في سننه (٤٢٩١) والامام الطبراني في المعجم الأوسط (٧، ٦٥) والحاكم في المستدرك (٨٥٩٣) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الامام السخاوي في المقاصد الحسنة ص (٢٠٣) : سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وقد اعتمد الائمة هذا الحديث، فروبناه في المدخل للبيهقي باسناده إلي الامام أحمد، أنه قال ذكره إياه فكان في المائة الأولي عمر بن عبد العزيز، وفي الثانية الشافعي ..."١.هـ.

(٢) مجلة الأزهر ص ١٧٦٨ عدد شعبان ١٤٣٦هـ – يونيه ٢٠١٥ الجزء ٨ السنة ٨٨.

المراد بالمجدد: هو عالم دين يبعثه الله علي رأس كل مائة سنة ليجدد للناس دينهم عن طريق القيام بأعمال جليلة ، ونشر العلم الديني بين الناس، بالإضافة إلي إحياء سنة الرسول صلي الله عليه وسلم، والرد ومحاربة البدع المنتشرة بين الناس في زمانه.

ويقصد بالتجديد: إعادة الدين إلي ما كان عليه في أول عهده ، ويعني هذا أن الدين كان تاماً ومكتملاً ثم أخذ يعتريه النقص وذهب أكثره، فأعاده هؤلاء المجددون إلي قريب من حالته في عهد السلف الأول.

ونشأ مصطلح "**التجديد**" من الحديث المروي عن **رسول الله صلي الله عليه وسلم**، وقد ادعي كل قوم **(علم)** في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث؛ والظاهر والله أعلم أنه يعم حملة العلم من كل طائفة، وكل صنف من أصناف العلماء ، من مفسرين، ومحدثين، وفقهاء، ودعاة، ولغويين إلي غير ذلك من الأصناف".

(٢) تحديد المفاهيم والمصطلحات ودورها في تجديد الخطاب الديني

كلمة {الخطاب الديني} من الكلمات التي شاعت علي ألسنة دعاة التجديد والتحديث علي إختلاف توجهاتهم، وتنوع أهدافهم، وانتشرت علي ألسنة المثقفين، وفي وسائل الإعلام، مرئية ومسموعة ومقروءة، وفي أدبيات دعاة الإصلاح بوجه عام.

فالكلمة معروفة ومتداولة ومألوفة بين الناس، ولكنها غير محددة الأبعاد، غير معلومة في استخداماتها ومالآتها.

فالواجب الشرعي يحتم علينا تحديد المفاهيم. وما أكثر المفاهيم المغلوطة التي اعترت خطابنا الديني علي أيدي فئة متشددة أو جاهلة أو مغرضة لا تملك من أدوات العلم ما يؤهلها لذلك، واستخدمها لمفاهيم مثل الجهاد والخلافة والحاكمية ومفهوم دار الاسلام والحرب والجردية

ووضع غير المسلمين في البلاد الاسلامية والأقليات المسلمة في بلاد الغرب.

فأصبحت هذه المفاهيم من أدبيات الخطاب الديني المتشدد الذي أساء إلي الاسلام إساءات بالغة، وعلماء الازهر بشتي تخصصاتهم الدينية والعربية معنيون بتجديد هذه المفاهيم وتوضيح المفهوم الصحيح لها وابراز الوجه الذي تقصده الأدلة الشرعية ، فمتي قام علماء الأزهر الشريف بهذا الدور يكونون قد قدموا خدمة جليلة للاسلام ولتراث الإسلام.

وعند هذا الحد لابد أن نعرف ما المقصود بالخطاب الديني؟

فنقول وبالله التوفيق : المقصود بالخطاب الديني: هو النتاج الفكري، والثروة العلمية والفقهية التي تركها لنا الائمة العظام ممن قدحوا زناد الفكر، وتأملوا وتدبروا في نصوص الشريعة الإسلامية فاستنبطوا منها هذه المفاهيم المتعددة، وتلك القضايا الوافرة.

فالمقصود بتجديد الخطاب ليس هو النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة التي ثبت نقلها عن المعصوم صلي الله عليه وسلم، وإنما المقصود هو كتب الفقهاء والعلماء والمحدثين والمفسرين وأهل اللغة وغيرهم من الشروحات والتعليقات التي سجلها هؤلاء العلماء من خلال استنباط هذه القضايا من نصوص الكتاب والسنة الصحيحة.

(٣) أنواع الخطاب الديني

الخطاب الديني يتعدد ويتنوع إلي عدة أنواع وهي:

١- الخطاب الديني المتشدد.

٢- الخطاب الديني الوسطي.

٣- الخطاب الديني المتساهل.

أولاً: الخطاب الديني المتشدد.

هو الخطاب الذي تتبناه بعض الجماعات المتشددة والمتطرفة التي تجعل من الحرام والتحريم والتجريم عنوان للفتوي ولوجهة النظر التي تتبناها فتري الفتوي المتشددة ووجهة النظر المنحرفة التي تأخذ بالناس إلي أقصي اليمين المتطرف مما يجعل الناس تئن من هذه الفتوي ولا تستطيع تطبيقها

أو العمل بها لمخالفتها لسماحة الاسلام ويسره وعدم تماشيها مع الفطرة الانسانية البسيطة مثل فتوي جماعات التكفير والهجرة. وتنظيم "داعش" الارهابي الذي يتلذذ بتحطيم الآثار وهدم المعابد والتراث الحضاري والمعماري والثقافي في قتل المغايرين له في الدين أو وجهة النظر أو الفكرة كقتل المسيحيين والأيزيدين ، بل وبعض طوائف أهل السنة كما يحدث في بلاد العراق والشام وغيرها من البلاد ويدعون تمسكهم بالمنهج السلفي ، بل نجد بل الطوائف الشيعية تتفنن في قتل وايذاء بعض أهل السنة ونصب العداء لهم علي طول الخط.

ويذهب هؤلاء المتشددون إلي النصوص القرآنية والحديثية ويستخرجون منها تأويلات متشددة ومتطرفة ويجعلون مستندهم هذه النصوص مما يجعل الناس في حيرة من أمرهم وتذبذب في تفكيرهم من أين أتوا بهذه التفسيرات والتأويلات المتشددة ؟ فيبثون في نفوس الناس الخوف والارهاب مما جعل المسلمين يخافون من تطبيق شرع الله في حياتهم وأورث مفهوم (الاسلام فوبيا) عند غير المسلمين خوفاً وأوجد حاجزاً نفسياً واجتماعياً بعدم قبول المسلمين وقبول الاسلام في المجتمعات غير المسلمة وأقصد بها (المجتمعات الغربية) ودور هذه الجماعات في تشويه الخطاب وهذا ما جعل كل واحد من هؤلاء يريد الشهرة أو الظهور

أن يذهب ويأتي بفتوي متشددة أو متطرفة فتثار الأقاويل وتتعدد الأراء بين مؤيد ومعارض فيشتت جهد المسلمين ويستنفذ طاقة المخلصين.

ثانياً: الخطاب الديني الوسطي.

هذا الخطاب الديني هو الخطاب السائد في بلاد الاسلام والمسلمين وهو الذي يتبني يسر الاسلام وسماحته وبساطته ويتفق مع طبيعة الناس وحياتهم العملية والعلمية.

وأبرز الممثلين لهذا المنهج الوسطي هو(الأزهر الشريف) الذي دائماً يجمع ولا يفرق، يبني ولا يهدم، ويأخذ من نصوص القرآن والسنة ما يتفق من طبيعة النفس البشرية والفطرة الانسانية التي قال الله تعالي عنها " **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**" (١)

فالأزهر هو المرجع للفتوي علي مستوي مصر والعالم الاسلامي بل والعالم كله ، فنري المؤسسات العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ترجع إلي الأزهر لأخذ الحكم الشرعي والبيان الفقهي لكثير من المسائل الحديثة في الحياة مثل فوائد البنوك ونقل الأعضاء والزواج العرفي والطلاق الشفوي وكثير ما يلجأ الناس إلي هذه الخطاب الديني الوسطي الذي يتماشي مع سمات ومميزات الأمة الاسلامية التي قال الله فيها " **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ۗ " (٢)

(١) الروم / ٣٠

(٢) البقرة / ١٤٣

وغيرها من المسائل التي يجد الناس فيها الراحة النفسية والاجتماعية والدينية والتي تبني المجتمعات وتحافظ علي التنوع الثقافي والمعرفي والاجتماعي والديني وتعطي لكل فرد في المجتمع حقه من الحقوق وتطالبه بأداء الواجب المفروض عليه.

وهذا الاتجاه أو الخطاب الديني الوسطي هو المنتشر في مؤسساتنا العلمية وحياتنا الاجتماعية وتوجهاتنا الدينية واستفسارتنا الاقتصادية وهذا الخطاب الوسطي ينضوي تحته كل فئات المجتمع إلا من شذ وانحرف وابتعد وذهب إما إلي التشدد وإما إلي التساهل.

وهذا الخطاب الديني هو الذي يتفق مع أصول الدين وشرائع الاسلام والمتمثل في عمل الرسول صلي الله عليه وسلم من أيام النبوة وعلي امتداد التاريخ الاسلامي وحكام المسلمين الذين نشروا العدل والسلام والمحبة بين المجتمعات الانسانية.

ثالثاً: الخطاب الديني التساهل: "المتهاون"

هذا الخطاب الذي يتبناه كل جاهل وعديم المعرفة ومن أخذ شيئاً بسيطاً من العلم فذهب يريد أن يفتي الناس بهذه الفتاوي المسهلة والمبسطة لأمور الدين فتخلع عن الدين رونقة وبهاءه وجماله فتري كل شيء يذهب به إلي الاباحة والتحليل مع وجود بعض الاراء المنضبطة التي تمنع أو تجرم – بالجيم – مثل هذه الأفعال.

ويستحين هذا الجاهل انصاف المتعلمين في الدفاع عن وجهة نظره مع عدم تخصصه في الدراسات الاسلامية والأحكام الشرعية ويدعي أنه مفكر أو متفق أو حر في التفكير وأن الفتوي ليست حكراً علي أحد، ومن باب حرية الرأي، وعدم الوقوف عند أقوال وأفكار السابقين، وادعاء أن القديم لا يتفق مع روح العصر ومستجدات الحياة.

ويمثل هذه الطائفة بعض المفكرين – كما يسمون أنفسهم – من العلمانيين والتنويرين والشيوعيين وأصحاب الفكر الحر أمثال "اسلام بحيري. في مصر" "وخالد منتصر في مصر" ومحمد اركون في بلاد المغرب العربي – وبعض الأعلاميين والاعلاميات علي شاشات الفضانيات ومواقع التواصل الاجتماعي. وهؤلاء خطرهم شديد لتواجدهم الاعلامي ولظهورهم الدائم وقوة تأثير الاعلام علي الحياة المعاصرة. بل نجد بعض نجوم الكرة والفن يجلس ويتكلم في الحلال والحرام والجائز والممنوع مع جهلة الواضح وغبائه الناضح فهو لا يعرف من الدين إلا القليل ولا من اللغة العربية إلا البسيط.

ولا يمثل هذا الخطاب المتهاون شيئاً كثيراً في المجتمع مع وجود سطوته الاعلامية وذلك لسيطرة الخطاب الديني الوسطي.

بعد هذه الجولة بين أنواع الخطاب الديني – حسب رؤيتنا – نري أن الخطاب الديني الوسطي هو المسيطر علي المجتمعات الاسلامية ولكن يجب اعطائه مزيداً من القوة والحرية ليواجه التيار المتشدد ويقلل من تأثير الخطاب المتساهل لأن خير الامور الوسط "وما خير الرسول صلي الله عليه وسلم بين أمريين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن أثما "[1] كما في حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) الدراسة العملية للتجديد في مناهج المفسرين وتفاسيرهم

لابد من الاتفاق علي الاقرار بأن الاقتصار علي إعادة كلام السابقين – عليهم رحمة الله – دون زيادة عليه هو تعطيل لفيض وعطاء القرآن الذي ما له من نفاد ، قال تعالي " **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ**

(١) رواه النجاري في المناقب ٢٣٠/٤ ، ومسلم في الفضائل ١٨١٣/٤

أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "(١)

وكما جاء في حديث النبي صلي الله عليه وسلم في وصف القرآن: "ولا يخلق علي كثرة الرد".(٢) (٢)

يقول أ.د/ عبد الفتاح عبد الغني العواري.

والناس إزاء كلام الأقدمين – السابقين – رحمة الله عليهم – أحد رجلين:

الأول: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون.

والآخر : رجل آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون.

وفي كلتا الحالتين خطر جسيم وضرر كبير.

فماذا نصنع في مجال التجديد في مناهج التفسير حتي لا نكون أحد ذينك الرجلين؟

وإنا بدوري – في هذا البحث – أتبني نفس فكرة الدكتور/ عبد الفتاح العواري وهي الحالة الثالثة والتي تقدر جهد السابقين وتتعامل مع عطاء واجتهاد المعاصرين.

فنقول : إننا نمثل

حالة ثالثة ينجبر بها الجناح الكسير ، وتتمثل هذه الحالة في أن نعمد إلي ما شاده الأقدمون فننظر فيه بالتهذيب والزيادة والشرح والتوضيح

---

(١) لقمان / ٢٧

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ ٤٩/١ حديث رقم (٥) باب: القرآن مآدبة الله تحقيق: مروان العطية – محسن خرابة –

وفاء تقي الدين دار بن كثير – دمشق – بيروت ١٤٢٠هـ من حديث عبد الله بن مسعود، سنن الدرامي ٢٣٩/١٠ حديث رقم {٣٣٧٨} ١/ باب فضل من قرأ القرآن. ٢٤/ كتاب فضائل القرآن

وإزالة ما علق به من شوائب ، وماطراً عليه من الدخيل، حتي نبرز للناس الأصيل في التفسير فتنجلي زبدة الحق الصراح وتذهب رغوة الباطل.

وقد قام بعض العلماء الأجلاء بعمل مثل هذه المشاريع فنقت التفسير من الاسرائيليات والموضوعات والدخيل ومن أبرزهم الأستاذ الدكتور/ محمدبن محمد أبو شهبة أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وأم القري في كتابه الماتع "الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" فمن يقرأ في هذا الكتاب يجد محاولة ممتازة وسباقة في مجال تجديد النظرة لكتب التفسير وعلوم القرآن فقام بإظهار بعض الاسرئيليات والموضوعات التي دست في كتب التفسير مثل المائدة التي طلبها الحواريون وذي القرنين وملكة سبأ وقصة سليمان وأيوب وأصحاب الكهف وألواح التوراة وغيرها من الموضوعات التي عالجها هذا العالم الكبير فكان كتبه نبراساً لمن أتي من بعده في دراسة الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.

وكتاب " الصحيح المسند في أسباب النزول" للدكتور/ مقبل بن هادي الوادعي فقد قام بدراسة مستفيضة وأثبت صحة بعض الروايات الواردة في اسباب النزول ورد الضعيف والموضوع من أسباب النزول وهذا في باب الدراسات القرآنية وخاصة {علوم القرآن}

وكتاب "الدخيل في التفسير" للأستاذ الدكتور/ محمد يحي عبد المنعم (رحمه الله) عميد كلية أصول الدين والدعوة الاسلامية بالمنصورة – جامعة الازهر – فقام برد وأبطال وتصحيح كثير من الروايات الضعيفة والموضوعة التي احتوت عليها بعض كتب التفسير وعلوم القرآن وهو جهد مشكور وعمل متفرد ومتقدم في مجال التجديد في مجال الدراسات القرآنية وخاصة (التفسير).

وأعتقد أننا بهذا المنهج الوسطي للتجديد لا يمكن لأحد أن يتهمنا بأننا نقضنا تراثنا أو أبدناه أو أهملناه ، بل خدمناه وهذبناه وجليناه، لأننا نؤمن بأن في النقد لتراث الأئمة غمض فضلهم ، وغمض فضل السابقين كفران للنعمة، وجحد لمزاياه ، وكلاهما ليس من حميد خصال هذه الأئمة التي تؤمن بأن الفضل للمتقدم .

معاني التجديد:

والتجديد له معنيان: تجديد في التبليغ وتجديد في التأصيل؛

الأول: أما التجديد في التبليغ: فهو تطوير أسلوب تبليغ التفسير القرآني – بمعني أوضح – نقل النص الموجود في طيات أمهات كتب التفسير للغة وأسلوب يدركه المخاطب ،كما فعل الشيخ محمد متولي الشعراوي "رحمه الله" وهذا أمر واجب – في نظري – خدمة لكتاب الله تعاليّ.

الثاني: أما التجديد في التأصيل: فهو محاولة زعزعة الثقة بموروث كتب التفسير واتهامها بالجمود ، والدعوة للتحرر منها ،بدون النظر إلي أهلية المفسر لهذا العمل.

وهذا التجديد بهذا المنظور الثاني خطر كبير، ومؤامرة واضحة ، وحراس القرآن لن يسامحوا لمثل هذا الباب أن يفتح. كما حدث مع بعض المعاصرين الذي ذهب يشوه أقوال الطبري وابن كثير وأبو حيان والقرطبي من المفسرين وغيرهم من أصحاب الحديث كالبخاري ومسلم فقوبل بهجوم حاد ودفاع مستميت عن علماء الحديث والتفسير ونال ما يستحق من جزاء.

وقد وضع بعض العلماء والمعاصرين المنهج القويم لمن يريد أن يقوم بهذا التجديد وهو شيخ البلاغيين المعاصرين للأستاذ الشيخ

الدكتور/ محمد أبو موسي – فإنه ألح علي هذه القضية في مؤلفاته وبَيَّن المنهج الحق الذي ينبغي أن يتبعه من يروم تفسير كتاب الله تعالي ، ومن هذه المقدمات مقدمة كتابه {البلاغة القرآنية الزمخشري}، وكتابه : { من أسرار التعبير القرآني} ، وكتابه {آل حم بأجزائه الثلاثة}.

والتجديد أصبح أمر ضرورياً وملحاً ولابد أن يتوجه هذا التجديد إلي تجديد الفهم قبل أي شيء أخر ، وأمراض الأمة الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ما هي في الحقيقة إلا **أعراض** في فهم الدين، وخاصة في فهم نصوص الشريعة قرآناً وسنة.

ولولا استشهدنا بقول ابن تيمية: (إن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، والباطل الواضح، والحق الواضح) لأدركنا مدي الحاجة الملحة إلي التجديد في مجال التفسير.[١]

وقد حاول الإمام (الطوفي) – رحمه الله – في زمانه – "وضع قانون يعول عليه ويصار في هذا الفن إليه"[٢] إلا أنه لم يفعل وليته فعل.

وقد أكد الامام (السكاكي) في مفتاح العلوم "علي أن علم أصول الفقه، والبلاغة مؤهلين لضبط العملية التفسيرية حيث قال: ولله در التنزيل، لا يتأمل العالم آية إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر ..." [٣] وإيجاد علم أصول التفسير يكفينا هَمَّ العبث بالنصوص الشرعية وليَّ أعناقها، كما يضبط لنا عملية الفهم عن الله تعالي ، واستنباط الأحكام الشرعية من مظانها. بل يكون قانونا محكماً فيما يسمي بـ(مقاصد الشريعة) ذلك أن القصد يفهم من اللفظ، ومن النص الشرعي. فيجيبنا علم

(١) مقدمة في أصول التفسير – لإبن تيمية ص٣٣

(٢) الإكسير في علم التفسير – الطوفي ص ٢٧

(٣) تفسير النسفي ١٥٧/٢ ، مفتاح العلوم – السكاكي ص ٤٢١

أصول التفسير عن السؤال العلمي: كيف دل هذا اللفظ أو هذا النص علي هذا المعني أو هذا الحكم؟

وقس علي ذلك من القضايا والمستجدات الطارئة علي الفكر الإسلامي اليوم، كمسألة السنن التاريخية والإجتماعية في القرآن الكريم، وقضايا التشريع الجنائي، والنوازل الفقهية في الطب وغيره. والله أعلم.

التجديد دافع للتقييم والفرز والإلغاء والاضافة

حينما يعمد الانسان إلي التجديد لابد أن يكون دافعه إلي ذلك هو التقييم والفرز.

والإنسان الذي يقوم بهذا التقييم والفرز لابد أن يقف موقف الحكم بين طوائف العلماء، مجلياً مالهم تارة، وما عليهم تارة أخري بعيداً عن المجاملة والتجني علي الآخر أو يكون مؤيدا لأحدهما علي حساب الأخر بسبب قرب ميله الفكري أو العلمي لأحدهما وبعده عن الأخر.

وأن يقوم بفرز هذه الأقوال بمنهج علمي دقيق قائم علي المعرفة التامة والتجرد من الأحكام السابقة حتي يخرج عمله علي وجه من الكفاءة والقبول وجمع الأراء وليس تشتيتها، ويلغي ويرفض من الأقوال ما يقبل الرفض والالغاء مع ذكر الأدلة التي حملته علي هذا الرفض والالغاء ، وإضافة ما يحتاجه التفسير لإبراز الوجه المشرق والمتجدد للتفسير مما يتناسب مع مستجدات العلوم وعطاء الحضارات.

إذا فعلي هذا الانسان الذي يقيم هذا التراث أن يتجرد من الأهواء الشخصية والمصالح النفعية والأفكار المسبقة وصولاً إلي نتيجة مرضية ومطمئنة ويجوز القبول من العلماء، ويكون هذا وفق معايير علمية لضبط التجديد في تفسير القرآن الكريم وعلوم القرآن.

الفصل الثاني

رؤي بعض العلماء المجددين في الإسلام

١ – رؤية الإمام الغزالي في تجديد الخطاب الديني

إن تجديد الخطاب الديني يمثل منهجاً واعداً يهدف إلي إيقاظ الضمير العام وشحذ إرادة الأمة ، واستنهاض عزيمتها من كبوتها، واستنفار طموحتها وقواها المذخورة حتي تضع أقدامها علي طريق النهضة الحضارية الشاملة .

وأظن أن هذا الهدف هو الذي عمل له – ومن أجله – علماء المسلمين في شتي المجالات – وخاصة الدينية والتشريعية فوجدنا كل عالم مجتهد يأتي ويكمل ما قاله السابقون فيتمم البناء ويشيد بكل صفات الجمال.

ولذلك كانت دعوة المجددين للنصوص الدينية المقدسة هي دعوة إلي قراءة جديدة لهذه النصوص وفهمها بروحها وغايتها لا بحروفها ومعانيها المباشرة، فالخطاب المتجدد هو الخطاب الذي تنبض خلاياه الحيوية في تفاعل خصب خصيب مع مشكلات الأمة وعتراتها وعقباتها[١]

وهذا ما قال به العلماء السابقون – وأنا معهم – حيث أننا نجد بعض الأئمة المحققين من أمثال: حجة الإسلام أبي حامد الغزالي – رحمه الله– الذي يقول في كتابه "إحياء علوم الدين"؛ التدبر في قراءته: إعادة النظر في الأية والتفهم أن يستوضح من كلام الله ما يليق بها ، كي تتكشف له من الأسرار معانٍ مكنونة لا تتكشف إلا للموفقين "[٢]

فما أجمل هذه الجملة التي نطق بها الغزالي في القرن الرابع

---

(١) مجلة الأزهر ص ٢٥٩٥ / ١٤٣٦هـ ذو الحجة / أكتوبر ٢٠١٥ العدد ١٢ / السنة ٨٨ مقال الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الفضيل القوصي بعنوان {الخطاب الديني تجديد أم تبديد}. بتصرف

(٢) إحياء علوم الدين – أبو حامد الغزالي – دار المعرفة – بيروت ٢٨٥/١.

الهجري والتي ألمح فيها إلا أن عطاء الآية القرآنية ومحاولة التفهم – أي إجهاد المسلم نفسه لفهمها – لا ينقطع أبداً وإن الله يَمنُّ علي المسلم الصادق النية فيفتح له أبواب من الأسرار لتلك المعاني المكنونة وهذا عطاء الله لا يمنحه الله تعالي إلا لأهل السعادة والاخلاص والتوفيق.

ثم يحدد لنا الامام الغزالي من خلال رؤيته لتجديد الخطاب الديني – أن هناك بعض الموانع التي تمنع فهم النص علي وجهه الصحيح فيقول – رحمه الله – : ومن موانع الفهم أن يكون قد قرأ تفسيراً وأعتقد أن لا معني لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي فهذا من الحجب العظيمة. (١)

كأنَّ الامام الغزالي ينظر إلي مستقبل الإسلام وتعامل بعض المسلمين مع النص القرآني أو الخطاب الديني فيقصره علي فهم معين كتأويل ابن عباس وأقوال مجاهد في التفسير وهذا ما يمكن أن نسميه "بالنظرة السلفية" في التفسير ويحلو للبعض أن يسميه "التفسير بالمأثور" وهذا ليس فيه عضاضة، ولكنه لا يمنع أن يكون بعض الاجتهادات والفيوضات التي يَمُّنَ الله تعالي بها علي من يشاء من عباده حتي يستمر عطاء القرآن الكريم علي طول الزمان مما يجعل البعض يسميه التفسير بالرأي – ونسي أو تناسي – أن هذا هو التجديد في التفسير وخاصة بعد القرون الثلاثة الفاضلة : وهذا ما جعل البعض يذهب إلي القول بغلق باب الاجتهاد في نهايات القرن الرابع الهجري وبدايات القرن الخامس الهجري وهذا عكس الحقيقة والواقع التاريخي للأمة الإسلامية وعلمائها الإجلاء.

(١) المصدر السابق.

٢- رؤية الإمام الرازي للتجديد في التفسير

كان الإمام الرازي آية من آيات الله بين علماء المسلمين ، وكان له باع طويل في إحياء تراث الأمة الاسلامية وخاصة خلال القرن السادس والسابع الهجري الذي كان يعيش فيهما. ونجد أن الأمام الرازي – رحمه الله كانت له نزعة فلسفية فأننا نراه يدافع عن اجتهادات المجتهدين وعطاءات الله للمتأخرين فيقول: عند تفسيره لقول الله تعالي {وعاشروهن بالمعروف} النساء / ١٩

"وقد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين إذا أظهروا وجهاً في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه أخر في تفسيره، وإلا صارت الدقائق التي يستنبطها المتأخرون في التفسير مردودة، وذلك لا يقوله إلا مقلد خُلف – بضم الخاء." ١.هـ [١]

ولله درك الإمام الكبير فخر الدين الرازي حينما أصلت وقعدت لمنهجك في التجديد في التفسير واستشهدت بأصول الفقه بأن المتأخر قد يأتي بوجه في الآية لم يقف عليه المتقدم أو يستخرج المتأخر بعض الدقائق من دلالات الآية ومضامينها، ولا يمكن أن ترد هذه الاستنباطات الجديدة.

وإلا رددنا كثير من التفاسير المستجدة والمستحدثة بعد عصر القرون الثلاثة الفاضلة واكتفينا بما روي عن ابن عباس وبما جاء عن مجاهد وبما سطر عن أبي العالية وبما كتبه مسروق وبما انتهي إليه محمد بن كعب القرظي وأغلقنا عقولنا عن عطاءات القرآن واستنباطات المجتهدين.

---

(١) النساء /١٩

ويشن الامام الرازي حملة قوية علي من يعتقد هنا التوجه فيقول: وذلك لا يقوله إلا مقلد خُلف" وهذه اللمحة فيها الكثير فإذا كنا نشكك في إيمان المقلد ولا يكتفي بذلك فيتهمه بالخرف وخلاف الأولي.

٣- اعتداد سفيان بن عيينة[١] بتجديد الخطاب الديني

في أثناء كتابة هذا البحث – كنت أعرف – أن هذه القضية شائكة وتناولها بعض العلماء وعلي حذر وخوف من اتهام بعض المتمسكين بالنص لهم بأنهم يدفعون في كتاب الله ما ليس منه – وساورني هذا الشك والخوف – في بعض الأحيان ، ولكن حينما وقفت علي ما قاله "سفيان بن عيينة" في قضية التجديد – التي نحن بصددها – علمت صحة ما ذهبت إليه.

فيقول "سفيان بن عيينه – رحمه الله – في تفسيرة لقول الله تعالي (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون"[٢]هي تسلية للمظلمون ، وتهديد للظالم، فقيل له: من قال هذا ؟ فغضب، وقال: إنما قاله من علمه، يريد نفسه"

لو نظرنا إلي ما قاله سفيان بن عيينة لوجدناه أتي بتفسير جديد، غريب عن المستمع الذي اعتاد أن ينقل أقوال السابقين ولا يعطي لعقله برهة للتفكير في نص القرآن الكريم، وقد استغرب هذا المستمع هذا

(١) سفيان عيينة الامام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي ولد سنة سبع ومائة طلب الحديث وهو حدث وانتهي إليه علو الاسناد ورحل إليه الناس من البلاد، وعاش احدي وتسعين سنة وتوفي سنة ١٩٨ هـ سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٨ ، ٤٧٤. وينظر موسوعة الأعلام ٢٧٠/١ له كتاب "الجامع" في الحديث، وكتاب في التفسير موسوعة الاعلام، ٢٧٨/١ وفيات الأعيان – ٣٩١/٢ وتهذيب التهذيب ١١٧/٤ تذكرة الحفاظ

(٢) ابراهيم/٤٢

التفسير وذهب يسأل من أين جاء هذا التفسير؟ ليكون رد الفعل من سفيان.

هو الغضب علي من حبس عقله في تفسيرات السابقين، ويعلي سفيان بين عيينة من فهمه للنص القرآني فيقول: "قاله من علمه" أي من عرفه وفهمه ووقوف علي بعض المعاني الحقيقية في الآية ، ويعتز بنفسه وبفهمه الذي هداه الله تعالي إليه من خلال تبصره للآيات القرآنية.

ويااليت هذا النهج سار في الأمة الاسلامية عبر تاريخها العام لكنَّا قد وجدنا حالاً للأمة غير هذا الحال الذي تعيشه. ولكن لعنة الله علي الجمود والجامدين الذين يعطلون حركة النماء والازدهار في الخطاب الديني عبر تاريخ الأمة الاسلامية.

٤- رؤية القرطبي في تجديد التفسير

لو نظرنا إلي منهج الامام القرطبي في تفسيره المسمي "الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي القرآن"

لوجدناه يضع منهاجاً وطريقاً للتجديد يبعد به عن السابقين ويحدد به الهدف من التفسير فيقول- رحمه الله:

وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلي قائليها، والأحاديث إلي مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلي قائله، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً، لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع علي كتب الحديث، فيبقي من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الإستدلال حتي يضيفه إلي من خرجه من الإئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام، وأضرب عن كثير من قصص المفسرين ، وأخبار المؤرخين ، إلا ما لابد منه ولاغناء عنه للتبيين، واعتفت من ذلك

تبيين أي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلي مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين فما زاد، مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل ، هكذا إلي آخر الكتاب. (١)

استنباط الأحكام التشريعية من القرآن الكريم
ودور التفسير فيها

بعد هذا العرض لما سبق من قضايا ورؤية لبعض علماء الاسلام ومفسري القرآن نطرح هذا السؤال.

هل استنباط الاحكام التشريعية في القرآن الكريم من قبيل التفسير؟

وللإجابة علي هذا نقول وبالله التوفيق:

نعم إن استنباط الاحكام التشريعية في القرآن الكريم في خلال القرون السابقة للاسلام ليست إلا من قبيل التفسير لآيات القرآن لم يسبق تفسيرها من قبل ذلك.

وكان هذا هو دور العلماء علي مر تاريخ الاسلام الزاهر فأنشأت المدارس العلمية وظهرت المذاهب الفكرية وبزغت الحركات الاصلاحية التي نشأت من خلال توجيهات القرآن واستخراجها العلماء من دلالات الآيات ومحتوي الألفاظ.

وللاستدلال علي هذا نري الإمام الشافعي رضي الله عنه كما جاء عنه في كتاب (الرسالة) يقول: طلبت دليلاً علي حجية الإجماع به فوجدته في قوله تعالي: " **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ**

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٥١/١ طبعة دار الغد العربي – الطبعة الثالثة ١٩٨٩ – ١٤٠٩هـ

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا "(١)

ونري عالماً من كبار علماء المسلمين يضع شرطا للتفسير الصحيح وهو الإمام شرف الدين الطيبي: فيقول: في شروحه علي الكشاف للزمخشري المسمي (فتوح الغيب) شرط التفسير الصحيح أن يكون مطابقاً للفظ من حيث الاستعمال، سليماً من التكلف ، عريّاً من التعسف، فما كان علي خلاف ذلك فهو من بدع التفاصيل كما يسميه جار الله الزمخشري.

هذا هو حرص العلماء علي وضع قواعد لمن يريد أن يلج إلي تفسير القرآن الكريم حسب المنهج الذي ارتضاه العلماء وسار عليه المفسرون عبر تاريخ الاسلام فأتت التفاسير القرآنية ملتزمة بهذا المنهج قربة لله تعالي وحفاظاً علي توجيهات القرآن واستمداداً لعطاء الله للعلماء المخلصين.

ولذلك نري أن التفاسير قد اتسعت وتفننت في أهدافها وغاياتها ومناهجها وزادت مستنبطات معاني القرآن بفضل ما رزق الله تعالي الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله تعالي".

وهل يتحقق قول العلماء: "إن القرآن لا تنقضي عجائبه" إلا بازدياد المعاني باتساع التفاسير.

ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصراً في ورقات قليلة، ولو وقف تفسير القرآن علي زمن معين وفهم معين.

فماذا بعد ذلك؟

---

(١) سورة النساء /١١٥

يعد ذلك وغيره نوعاً من التجديد الذي يتحقق به الهدف الأسمي من هدايات القرآن وإرشاداته.

وهذا هو الهدف من الخطاب الديني (المتجدد) فهو الخطاب الذي تنبض خلاياه بالحيوية في تفاعل خصب حصيف مع مشكلات الأمة وعتراتها وعقباتها ولن نجد أفضل علاج لكل هذه المشاكل إلا القرآن الكريم وتفسيراته التي جاءت علي الوجه الصحيح. (١)

ولذلك كان التدبر وسيلتنا الدائمة – أي للمسلمين – لفهم القرآن الكريم والتدبر: هو التفكير فيما وراء الظواهر ، ومعرفة أدبار الأمور وعواقبها، فالقرآن خطاب مفتاحه التدبر: أي أن القارئ المؤهل الذي هيأ قوي وعيه ووسائل إدراكه لتدبر القرآن الكريم بعقل علمي لديه من المعرفة والاستعدادات ما يعينه علي تدبر هذا الخطاب، ومعرفة المراد منه. فالمتدبر: قد تلقي خطاباً في قول ثقيل متحد معجز ذي مواصفات لا يشاركه فيها أي خطاب آخر ، وله

مضمون ورسالة وهدف ومقاصد وغايات وعواقب وهو خطاب صاغه الله تعالي **(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)** (٢) وقد فصله علي علمه المحيط بكل شيء ، فهو علم مطلق

منزل من لدن العليم الخبير قال تعالي **(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)** (٣)

ولعل أهم الاختلافات بين ما يثيره الخطاب القرآني وأي خطاب

(١) مجلة الأزهر عدد ذو الحجة ١٤٣٦ – سبتمبر / أكتوبر ٢٠١٥ ص٢٥٩٥ الجزء ١٢ السنة ٨٨

(٢) سورة الملك /١٤

(٣) سورة هود /١

آخر غير الخطاب القرآني هو أنه يثير تساؤلات حول ما في ذهن مرسل الخطاب من مقاصد وغايات، أو مطامع يطمع أن يطلب المرسِل إلي المرسَل إليه القيام بها.

وهنا كان الرسول صلي الله عليه مثالاً واقعياً لخطابات القرآن ومتطلبات الوحي الإلهي ولذا عندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلي الله عليه وسلم قالت: (كان خلق القرآن) [١]

وعندئذ نكون مجموعة العلاقات الإنسانية والاجتماعية المتغيرة المتحركة في إطار (المرجعية القرآنية وقيمها الحاكمة)

وهنا يأتي دور "التدبر" وليكون قاصراً علي السادة المفسرين المجددين في التفسير فالتدبر ضروري ليقوم بقيادة القارئ – المفسر – للتفاعل مع الخطاب القرآني ومعرفة دوره بالنسبة إليه.

وهنا يجد القارئ – المفسر – نفسه وجها لوجه في مواجهة الخطاب القرآني فيستدعي التاريخ وأفاق الفهم، ويؤسس للعلاقة مع الخطاب. [٢]

واعتقد أن هذا هو المطلوب في زمننا الحالي من أجل تجديد التفسير القرآني واستنباط هدايات القرآن بعد انتشار هذا الخطاب التضليلي من الجماعات الإرهابية المتشددة مثل "داعش" "والقاعدة"

وغيرها من المذاهب الفكرية الوجودية والإلحادية واللادينية.

وما ذلك علي الأزهر ورجاله ببعيد فيوجد قمما علمية ومنارات فكرية تستطيع أن تقدم هدايات القرآن للأمة وتضع منهاجاً لتقدمها إذا أتيح لها المجال وسمح لها الزمان وخلصت النيات وصدقت العزائم، وعلي الله التكلان.

---

(١) أخربه أحمد ٩١/٦ والنسائي ٥٨/٦ و ٦٠ والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٨).

(٢) مقال: التدبر وسيلتنا لفهم القرآن الكريم أ.د طه جابر العلواني مجلة الازهر ص٢٥٩٩

المسيرة التجددية للخطاب الديني عبر تاريخ الاسلام

إن باب الاجتهاد والتجديد مفتوح لكل من كان أهلا لهذا ، جامعا للعلوم والادوات التي تجعله صالحا – قولا وعملا – فكراً ومنهجاً – للاجتهاد والاستنباط وإلي هذا يشير القاضي البيضاوي بقوله: "لا يليق لتعاطيه – أي لتفسير القرآن – والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفي الصناعات العربية والفنون الأدبية.

نعم لقد وضع الامام البيضاوي – وجهة نظره – لمن يريد أن يتصدي لتفسير القرآن كي يضبط الإطار الذي ينبغي أن يسير فيه المفسر ويكون علي هدي وبصيرة.

ونري هذه المسيرة التجددية تمثل في كل مدرسة من مدارس التفسير العلمية كمدرسة مكة المكرمة ومدرسة المدينة المنورة ومدرسة الكوفة.

فلكل مدرسة منهجها وطريقتها وعلمائها وشيوخها والتزامها بجانب من جوانب التفسير فنري ابن عباس في مكة المكرمة يشتغل بتفسير آيات العبادات كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك وتهتم مدرسة المدينة بإبراز الجوانب التشريعية والأحكام لبناء المجتمع الاسلامي فأصبحت المدينة من أكثر المدارس اشتغالاً بالمغازي والسير والسنن والأثار[١]

وجاء عصر التابعين فازدادت الحاجة إلي التفسير وبزيادة الفتوحات الاسلامية في بلاد الفرس والروم ومصر وغيرها ظهرت طبقة جديدة من الداخلين في الإسلام من هذه البلاد الجديدة المفتوحة.

ونشأت المناهج التفسيرية وتعدي أثر مدرسة مكة والمدينة التفسيرية

(١) أقوال محمد بن كعب القرظي (جمع دراسة وتوثيق) رسالة ماجستير للباحث/ محمد إبراهيم أحمد رجب ص٢٢ – ٢٣ – كلية أصول الدين بالمنصورة – جامعة الازهر سنة٢٠٠٧ (غير منشورة)

حتي وصل إلي بلاد اليمن فكان من أشهر علمائها طاووس بن كيسان ووهب بن منبه ومعمر بن راشد البصري.

وتأثرت مصر بمدرسة المدينة وخاصة علي يد عقبة بن عامر رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه وجاء بعدهما (أبو الخير مرتد بن عبد الله المزني المتوفي سنة ٩٠هـ حتي وصل الأمر إلي الليث بن سعد وعبد الله بن عون بن أرطبان (ت ١٥١)هـ

واستمر الحال حتي وصل إلي مصر كبار التابعين والعلماء كالإمام الشافعي وأبي حيان الأندلسي والشاطبي وغيرهم من علماء الأمة ومصابيح الهداية.

واستمرت مصر تحمل من خلال أزهرها الشريف ومنهاجه الوسطي المعقول الحامل الهداية لكل أنحاء البشرية والحامي لشريعة الاسلام من ضلالات المبدعيين وخرافات المستشرقين وتأويلات المبطلين وسفهات الماكرين.

واستمرت المسيرة التجددية ناشرة فضلها علي الانسانية ومبصرة بخير القرآن وهداياته ، فكانت الحركة العلمية في العالم الاسلامي تسير علي وفق منهج القرآن حتي جاء القرن العشرون وبدأت تظهر الفرق الضالة والمتشددة وظهرت الجماعات التكفيرية التي تفسر القرآن علي هواها وتأخذ القرآن إلي مبتغاها، وتوظف النص القرآني وتلوي عنقه إلي ما يحقق أهدافها وغاياتها حتي رأينا من وصل إلي تكفير المجتمع ورميه بالكفر وإباحة الدماء وسفكها واغتصاب الأموال ونهبها وذبح أهل الكتاب والتنكيل بهم علي مرأي ومسمع من العالم فكانت النتيجة هذا الخراب والدمار الذي عَمَّ بلاد الاسلام والمسلمين لغياب التجديد في التفسير والتصدي لأفكار هذه الجماعات الضالة والمضلة.

ونجد علماء الأمة المخلصين يسعون جاهدين للإلمام بمعاني القرآن الكريم، وادراك مقاصده واستجلاء مراميه وغاياته، والوصول إلي برد اليقين في فهمه ومعرفة تفسيره وتأويله كما جمعت سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأثار الصحابة وفقهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم، وفتاوي قرائهم لبلوغ تلك الغايات، والعروج إلي سماء تلك الآيات ، فكانت حصيلة تلك الجهود أن بلغت تراكمات ذلك حد بلوغ مرحلة تأسيس وتدوين العلوم ومنها "التفسير "[١]

التدرج التاريخي لقضية تجديد التفسير

مما لا شك فيه أن التفسير مر بمراحل متعددة بين علو وانخفاض، بين مد وجزر فكانت التفاسير الصحيحة وكانت التفاسير الفاسدة.

فمنذ التفسير النبوي للقرآن الكريم وقيام الرسول صلي الله عليه وسلم بتفسير بعض الآيات القرآنية للصحابة وخاصة عن طريق الأحاديث النبوية.

ومجئ القرآن ليفسر بعضه بعضا فما أُجمل في آية فسرته آية أخري وما كان خاصاً جاء عاماً في آية آخري.

وحمل بعض الصحابة لواء التفسير وأشتهر به كابن عباس والخلفاء الأربعة وعائشة وغيرهم.

ومجئ عصر التابعين وانتشار المدارس التفسيرية ودور كل مدرسة وعطائها التفسيري علي يد علماء أجلاء ومفسرين عظماء.

وازدهار التفسير في عصر التدوين وظهور التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ودخول الإسرائيليات في التفسير ودور أقطاب الروايات

(١) أزمات الانسانية والحل القرآني د/ طه جابر العلواني ص٤،٥ هدية هيئة كبار العلماء – مجلة الأزهر شهر ذي الحجة ١٤٣٧هـ

الاسرائيلية وبراعة شيخ المفسرين "الإمام الطبري" وكتابه (جامع البيان) ومعالجته للأحكام الفقهية والترجيح بين القراءات ومجئ علماء بعده كالإمام السمرقندي وكتابه (بحر العلوم) والزمخشري وتفسيره (الكشاف) وابن عطية وكتابه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وبراعة ابن كثير في كتابه (تفسير القرآن العظيم) وبروز طريقته السلفية في التفسير وألمعية السيوطي في كتابه (الدور المنثور في التفسير بالمأثور)

كل ذلك لا يخفي علي الدراس للتفسير.

ومجئ علماء التفسير بالرأي والاجتهاد وعلي رأسهم الإمام الرازي واهتمامه بالمناسبة بين الآيات والعلوم الرياضية والفلسفية وظهور البيضاوي بكتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

وبراعة النسفي في كتبه التفسيرية وابراز المسائل النحوية ،وتاريخية (الخازن) وعنايته بالأخبار التاريخية والناحية الفقهية.

وظهور النجم الأوحد والعلامة الأعظم (أبي حيان الاندلسي) بكتابه الماتع(البحر المحيط) واهتمامه بالنواحي الاعرابية والقراءات القرآنية.

حتي وصل الأمر إلي ظهور الخطيب الشربيني بكتابه (السراج المنير في الإعانة علي معرفة بعض معاني كلام ربنا (الحكيم الخبير) وموقفه من القراءات والأعاريب والحديث ووصلا إلي أبي السعود في كتابه (إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم) وعنايته بالكشف عن بلاغة القرآن وسر اعجازه

وظهور علامة العراق محمود الألوسي بكتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) واهتمامه بالمسائل الكونية، واكثاره من المسائل النحوية والفقهية والتفسير الإرشادي الذي كان جل اهتمامه في تفسيره.

وظهور الفرق المبتدعة كالمعتزلة وأراءها ورد علماء أهل السنة عليها كابن قتيبة والإمام أبي الحسن الأشعري وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من العلماء وظهور بعض تفاسير المعتزلة للقاضي عبد الجبار المسمي (بتنزيه القرآن عن المطاعن) واهتمامه بابراز الأصول الخمسة للمعتزلة.

وظهور الزمخشري بكتابه (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) وقيمة هذا التفسير من الناحية اللغوية والاعجازية.

وحملة الزمخشري علي أهل السنة ورد علماء أهل السنة عليه أمثال ابن بشكوال والشيخ حيدر الهروي ومقالة أبي حيان في الكشاف ومؤلفه،

وهجوم ابن خلدون وتحرير الامام السبكي وحملة (ابن المُنَّير السكندري) علي الزمخشري، والصواعق المحروقة لابن القيم علي الزمخشري.

ولا ننسي هنا أن نذكر دور الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

وخاصة (الامامية الاثنا عشرية) وحرصهم علي التوفيق بين ظاهر القرآن وباطنه وأثر التفسير الباطني في تلاعبهم بنصوص القرآن.

وكانت لهم كتب سطروا فيها أراءهم وتصوراتهم منها علي سبيل المثال:

تفسير (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) لعبد اللطيف الكازراني

والحسن العسكري وتفسيره ورواياته المكذوبة علي أهل البيت. وتوسل الأنبياء والأمم السابقة بمحمد صلي الله عليه وسلم وبأهل البيت وإبرازه مذهب (التقية)

وإلمام الطبرسي بمنهج الاثنا عشرية في كتابه {مجمع البيان لعلوم القرآن} وتمسكه بعصمة الأئمة والرجعة والمهدي ونكاح المتعة ونكاح

الكتابيات والغنائم وميراث الأنبياء.

ووقفا علي {الملا محسن الكاشي} في كتابه {الصافي في تفسير القرآن الكريم} وطعن المؤلف علي الصحابة وخاصة أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم وموقف من رؤية الله في الآخرة والشفاعة والسحر وروايته للأحاديثة الموضوعة.

وكان ظهور السيد/ عبد الله العلوي بكتابه (تفسير القرآن)

وتعصبه لأصول مذهبه وتحريف للقرآن وطعنه علي الصحابة وأن علوم القرآن كلها عند آل البيت وتأثره بمذهب المعتزلة وغفران الذنوب.

ونهاية بشيخ الإمامية الاثناعشرية {سلطان محمد الخراساني} في كتابه {بيان السعادة في مقامات العبادة} واهتمامه بالمهدي المنتظر والقرآن والعترة – وقصص القرآن – آيات العتاب للنبي صلي الله عليه وسلم وفرض الرجلين في الوضوء وميراث الأنبياء.

وكانت الطامة الكبري ظهور الإمامية الإسماعيلية {الباطنية}.

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم علي يد متقدميهم ومتأخريهم في تفسير القرآن وانتشار مذهب الباطنية في البلاد وتعدد ألقابهم.

وكانت المصيبة بظهور البابية والبهائية والصلة بين عقائد البابية وعقائد الباطنية القدامي وتأويلات (الباب) وخرافات {بهاء الله} وضلالات {عبد البهاء عباس}.

وبزوغ فجر الزيدية وعالمهم (الشوكاني) وكتابه (فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية) ونقله للروايات الموضوعة والضعيفة وذمة للتقليد والمقلدين وموقفه من التوسل والمتشابه، ومسألة خلق القرآن.

وكانت الداهية بهؤلاء (الخوارج) وفرقهم القاتلة والسافكة للدماء والأموال والمنتهكة للأنفس والأعراض.

وكتبهم الساقطة مثل (هميان الزاد إلي دار المعاد) لمحمد بن يوسف

أطفيش وموقفه من أهل الكبائر، ومغفرة الذنوب ، وأفعال العباد، وإشادته بالخوارج وحطة من قدر عثمان وعلي ومن والاهما وحملته علي جمهور المسلمين.

وكانت هذه النظرة الصوفية:

وكان ظهور التفاسير الصوفية ومنها {الفيضي أو الإشاري} ومقالة الشاطبي وابن الصلاح وسعد الدين التفتا زاني وابن عطاء الله السكندري

ومن أهم كتبهم {حقائق التفسير} للسلمي و{عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي و{التأويلات النجمية} لنجم الدين داية وعلاء الدين السمناني. والتفسير المنسوب لابن عربي.

وتعصب تفسير الفلاسفة والتوفيق بين الدين والفلسفة والأثر الفلسفي في التفسير كتفسير الفارابي وإخوان الصفا ومسلك ابن سينا في التفسير.

وكانت الخاتمة المباركة بتفسير الفقهاء وهو الذي تحتاج إليه الأمة الإسلامية في بيان الأحكام فكان الإنتاج التفسيري للفقهاء مثل {أحكام القرآن} للجصاص الحنفي و{أحكام القرآن} للكيا الهراسي الشافعي و{أحكام القرآن} لابن العربي المالكي.

{والجامع لأحكام القرآن} لأبي عبد الله القرطبي المالكي {وكنز العرفان في فقه القرآن} لمقداد السيوري من الإمامية الاثنا عشرية.

والثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة} ليوسف الثلاثي {الزيدي}

وبزغ نجم التفسير العلمي واختلاف العلماء فيه بين القبول والرفض فكان من الداعين له الامام الغزالي والجلال السيوطي وأبو الفضل المرسمي وظهور الرافضين له وكان علي رأسهم الشاطبي رحمه الله.

ثم كانت ألوان التفسير في العصر الحديث وظهور التفسير العلمي بقوة نتيجة للاكتشافات العلمية والتجارب البحثية وتطور وسائل البحث

العلمي وظهور دلالات الآيات وقربها من الاكتشافات العلمية مصدقاً لقوله تعالي:" **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**"(١)

فكان كتاب {الجواهر في تفسير القرآن الكريم} للشيخ طنطاوي جوهري وعدم قبول بعض المثقفين لهذا التفسير ، ومصادرة المملكة العربية السعودية لهذا التفسير ومنع دخوله للبلاد، وانكار بعض العلماء والمعاصرين لهذا اللون من التفسير ، مع أنه لم يستمر هذا الانكار طويلا حتي قامت رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة بإنشاء الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية وكان رئيس الهيئة أ.د/ عبد الله المصلح وأنشأت الهيئة عدة مقارات لها في عدة دول منها مصر – في مدينة نصر – ش ذاكر حسين وكان رئيس مكتب القاهرة لمدة طويلة أ.د/ رفعت العوضي أستاذ الاقتصاد الاسلامي بجامعة الأزهر الشريف.

ظهور اللون الالحادي للتفسير في عصرنا الحديث:

ثم كان ظهور هذا اللون الإلحادي للتفسير في عصرنا الحديث ومحاولة تفسير القرآن بالنزعة الالحادية البعيدة عن الدين وقيمة وأخلاقه ومحاولة انزال القرآن علي المذهب الالحادية كالوجودية والماركسية والشيوعية وايجادها يشبه العداء بين الدين والشعوب وأن الدين أفيون الشعوب وأن الحكام يستخدمون هذا الدين لاخضاع واذلال الشعوب لتحقيق رغبات الحكام والرؤساء والملوك.

لاندفع هؤلاء النفر من المؤولة إلي ما ذهبوا إليه من أنهام رائعة في القرآن لعوامل مختلفة.

فمنهم من حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله هو سبب لظهوره وشهرته فأخذ يثور علي قدماء المفسرين ويرميهم جميعاً بالسفه

(١) سورة فصلت/

والغفلة ثم طلع علي الناس بجديده في تفسير كتاب الله، جديد لا تقره لغة القرآن، ولا يقوم علي أصل من الدين.

ومنهم من تلقي من العلم حظاً يسيراً ونصيباً قليلا لا يرقي به إلي مصاف العلماء، ولكنه اغتر بما لديه ،فحسب أنه بلغ مبلغ الراسخين في العلم. فراح ينظر في كتاب الله نظرة حرة لا تتقيد بأي أصل من أصول التفسير، ثم أخذ يهذي بأفهام فاسدة، تتنافي مع ما قرره أئمة اللغة وأئمة الدين[١]

وفهم من لم يرسهم لنفسه بحلة دينية، ولم يسر علي عقيدة معروفة ، ولكنه لعبت برأس الغواية، فانطلق إلي القرآن وهو يحمل في قلبه **ورأس هذه الأمشاج** من الأراء فأخذ يؤوله بما لا يتفق معها، تأويلا لا يقرره العقل ولا يرضاه الدين.

ولو أردنا أن نضرب أمثلة علي هذا اللون الالحادي لوجدنا الكثير منها في كتاب أحد الرعين للعلم وهو كتاب {**القرآن والعشرون**}.

يقول الامام الشيخ الدكتور/ محمد حسين الذهبي: لا أريد أن أذكر أحداً من أصحابه باسمه ولقبه ، إذ ربما كأن هذا سببا للفتنة، وباعثا علي العداوة ، وكثير منهم أحياء يرزقون. [٢]

ونحن إذا نسير علي هدي وذوق وأدب الدكتور/ محمد حسين الذهبي فلا نذكر اسماً ولا نعرض بصاحبه ويرجع إلي كتاب {التفسير والعشرون} للدكتور/ محمد حسين الذهبي فقيه المزيد من البيان والايضاح. والله أعلم.

---

(١) التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي ٤٩١/٢ ط مكتبة وهبة الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

(٢) التفسير والمفسرون الجزء الثاني الصفحات من ٤٩١ – ٥٢٢

اللون الأدبي الاجتماعي للتفسير
في عصرنا الحاضر

يكاد أن يكون هذا اللون جديداً وطارئاً علي التفسير ويقوم علي أساس وهو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء علي اظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني ثم تصاغ المعاني في أسلوب شيق أخاذ ثم يطبق النص القرآني علي ما في هذا الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران.

ويرجع الفضل في هذا اللون التفسيري إلي مدرسة الإمام الشيخ (محمد عبده) للتفسير وقد نهجت هذه الدراسة بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه بن سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن من هداية وتعاليم صحية ، وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذي يستطيع أن يساير التطور الزمني والبشري إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ، ويستولي علي قلبه ويحبب إليه النظر في كتاب الله، ويرغبه في الوقوف علي معاينة وأسراره. (١)

أهم رجال هذه المدرسة:

إن أهم رجال هذه المدرسة، هو الأستاذ الامام الشيخ/ محمد عبده زعيمها وعميدها، ثم المرحوم السيد محمد رشيد رضا، والمرحوم الأستاذ

(١) التفسير والمفسرون ٢/٥٢٣ – ٥٢٥

الأكبر الشيخ محمد مصطفي المراغي وهم خير من أنجبت هذه المدرسة، ثم يُبيَّن الأستاذ/ محمد رشيد رضا هدفه من التفسير فيقول:

إن حاجة الناس صارت شديدة إلي تفسير تتوجه العناية الأولي فيه إلي هداية القرآن علي الوجه الذي يتفق مع الآيات القرآنية الكريمة المنزلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير، والهداية، والاصلاح[١] وحاول الإمام الاكبر الشيخ/ محمد مصطفي المراغي أن يظهر للناس أن القرآن لا يقف في سبيل العلم، ولا يصادم ما صح من قواعده ونظرياته، وذلك بما يهديه الله تعالي إليه من الدقة في التوفيق بين قضايا القرآن، وبين قضايا العلم الحديث[٢] وطلب الشيخ المراغي: أن يكون مفسر

كتاب الله علي شيء من العلم ببعض نظريات العلم الحديث ، ليستطيع أن يأخذ منها دليلاً علي قدرة الله، ويستلهم منها مكان العبرة والعظة[٣]

كل هذه الألوان التفسيرية تعد من ألوان تجديد التفسير علي مر تاريخ الاسلام والمسلمين وجدناها تمر علي أيدي المفسرين المخلصين لكتاب الله البعيدين عن الشطط والجهل، ملتزمين باللغة العربية وأدابها وبلاغتها، متمسكين بتوجيهات القرآن واخلاق وتعليماته، مقتدين بآثار المفسرين السابقين عليهم ملتزمين بأصول التفسير التي اتفق عليها العلماء، وتمسك بها النابهين من المفسرين الذين مَنَّ الله تعالي عليهم بالعطاء، وألهمهم الحجة والبيان لتفسير كتاب الله علي هدي وبيان لتوصيله إلي عوام الناس

(١) تفسير المنار ١٠/١ نقلا عن التفسير والمفسرون ٥٢٢/٢

(٢) التفسير والمفسرون ٥٦٨/٢.

(٣) التفسير والمفسرون ٥/٢

ولم يقف الأمر عند هؤلاء العلماء فجاءت الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وأبرزت هذا الجانب الاجتماعي في بعض دروسها ومحاضراتها في جامعة القاهرة وزادت هذا الجانب إيضاحاً.

والشيخ/ محمد متولي الشعراوي: جاء بكتابه الماتع والممتع {خواطر الشعراوي} وحاول ابراز الناحية البلاغية في القرآن الكريم وابراز مدي هداية القرآن الكريم للناس ومحاولة ربط القراء بالقرآن وكان حديثه التليفزيوني الذي يجمع الصغير والكبير والعالم والأمي والمثقف وقليل الثقافة الكل يأخذ من هذا التفسير الذي حاز القبول والشهرة ثم طبع في طبعة ورقية صارت بين يدي الناس.

دور المستشرقين في تجديد التفسير القرآني

ما هو الاستشراق؟

الاستشراق علي وزن استفعال ، كلمة تعني غالبا طلب شيء ما، فكأنه طلب "للشرق ، وقصد له كي يحصل عليه وعلي حضارته وعلومه وربما يكون بمعني الدخول في الشرق، فالمستشرق هو من يسافر إلي مشرق الشمس أو بلاد الشرق.

ويقصد بالاستشراق اصطلاحاً: التخصص الذي يمارسه الغربي في مجال دراسة الشرق علي مستوي

لغاته وتاريخه ودياناته وثقاته وحضارته، انطلاقا من زوايا علمية متعددة.

ولا يختص الاستشراق بدراسة العالم العربي أو الاسلامي فقط بل يمتد ليشمل الحضارة الهندية والصينية واليابانية وغيرها من الحضارات الشرقية الممتدة في بلاد المشرق.

من هم المستشرقون:

هم الوافدون إلي بلاد الشرق من دول الغرب في القرون الماضية لدراسة الشرق، ولديهم أبحاث خاصة بالمسلمين ، والدين، والتاريخ ، واللغة، والآثار وغير ذلك.

وقد ارتبط الاستشراق بالتنصير فكانت الدراسات الاستشراقية هي البعثات الاستكشافية لأحوال المسلمين وعلومهم ودراساتهم الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية

وقد اتكأ التنصير علي الاستشراق في الحصول علي المعلومات عن المجتمعات المستهدفة – ولا سيما – الإسلامية منها.

وقد جاء المستشرقون ودراسوا ثقافة وديانة وحال مجتمع المسلمين وأدلوا بدلوهم في التفسير وعلوم القرآن ومنهم علي سبيل المثال جولد تسيمرالمتشرق المجري وكتابه (المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن)

ودائرة المعارف الاسلامية، وكتاب (المعجم الفهرس لالفاظ الحديث النبوي) لمجموعة من علماء هولندا. وغيرها من الدراسات الاسلامية التي قام بها المستشرقون ومنهم (جلاد ستون) وبيرجشتراسر (الألماني).

وحاولوا تشويه صورة الاسلام والاساءة إلي شخصية الرسول صلي الله عليه وسلم ومحاولة اتهام القرآن بأنه غير صالح للتطبيق في بعض الأحكام وأنها تحتوي علي العنف والارهاب.

ولا يمكن أن نعقل دور وأثر الدراسات الاستشراقية في محاربة القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الاسلامي بوجه عام.

ولذلك انبري كثير من علماء المسلمين في شتي التخصصات العلمية لرد وابطال شبهات المستشرقين حول القرآن وتفاسيره والسنة وعلومها والتاريخ الاسلامي وفضائله.

وذلك حينما قام بعض المستشرقين بعمل ترجمات للقرآن الكريم وملئوها بأفكارهم السوداء عن القرآن والسنة والتاريخ الاسلامي.

وجاءت معرفة الأوروبيين بالقرآن الكريم علي يد الرهبان عندما أعلنوا الحرب علي الاسلام بحجة الدفاع عن المسيحية ضد الاسلام الظافر وممن قام لترجمة معاني القرآن(جانبيرك) الفرنسي و(رودي باريت)، و(جولد تسيهر) اليهودي المجري و(لورا فيشيا فاغليري) و(يوسف شاخت) ، و(دلافيدا).

ولو نظرنا إلي هؤلاء المستشرقين لوجدنا انهم كانوا يخرجون من بلاد معينة ويقصدون مصر وسوريا والعراق حماة القرآن والشريعة واللغة العربية فكانوا يأتون لمصر باعتبارها بلد الأزهر الشريف وحامية اللغة العربية وانتشار المذهب السني الوسطي المعتدل ، وسوريا في الجامع الأموي ودروس علماء الشام واسهاماتهم في حفظ القراءات القرآنية والعراق ومدارس البصرة والكوفة حيث وجود إرث اللغة العربية وتأصلها.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وجدنا دراسات تقوم علي جنسية

هؤلاء المستشرقين فنجد دراسة بعنوان {المستشرقون الناطقون بالانجليزية} دراسة نقدية للدكتور/ عبد اللطيف الطيباوي ودراسة بعنوان (اراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم) دراسة نقدية للدكتور/ أحمد نصري، ودراسة عن (الرد علي المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه علي القراءات القرآنية) للدكتور/ محمد حسن حسن جبل، ودراسة بعنوان (المستشرق الألماني بيرجشتراسر) وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها للاستاذ / ناصر بن محمد بن عثمان المنيع.

بل نقف علي هذه الدراسة الشاملة بعنوان (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) تأليف (رودي باريت) ، وترجمة مصطفي ماهر إلي غير ذلك من الدراسات الاستشراقية والدراسات القرآنية عن دور الاستشراق والمستشرقين في تجويد الخطاب الديني ودسهم السموم القاتلة مما أوجد عند بعض العلماء المسلمين الغيورين علي دينهم وقرآنهم الحمية فانبروا للدفاع عن أصل مقدساتهم الدينية وكتاب عقيدتهم الإيمانية مما حرك العقول والقلوب لصد هجمات المستشرقين علي تفسير كتاب الله تعالي وسنة نبية صلي الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام الزاهر.

وكانت كتب التفسير الاسلامي موجودة بين يدي المستشرقين مما سهل عليهم النظر في هذه الكتب وكان الانفتاح المعرفي في بلاد الاسلامي مشجعا لهم كي ينظروا في هذه الكتب محاولين اظهار بعض الشبهات واثارتها بين المسلمين إذا فكل هذا التراث التفسيري كان موجوداً بين يدي المستشرقين نتيجة للاحتلال الغربي لبلاد والاسلام وكان الاستشراق هو المقدمة العلمية للاحتلال بلاد ينظرون في هذا التفسير ويؤخذون منه ما يكون سهام حرب للإسلام والمسلمين وسيوف قاتلة في قلب الدين .

وترويج للأفكار الساقطة والتفاسير الباطلة لبعض علماء والمسلمين سواء كانوا سنة أو شيعة أو معتزلة أو غيرهم مما أوجدوا طعنات قاتلة في

المسلمين وتشويه لصورة الإسلام في قلوب ونظر غير المسلمين مما أوجد في العصر الحديث ما يسمي (بالاسلام فوبيا) أي الخوف من الاسلام وادعاء انتشار الاسلام يجد السيف وأن الجيوش الاسلامية كانت جيوش مغتصبة وجائعة خرجت من الجزيرة العربية بحثاً عن الطعام والشراب والحياة المريحة وليس جهاداً في سبيل الله لنشر الاسلام وتبليغ القرآن.

واتهام الرسول عليه السلام – وهو براء من كل هذا – بأنه انساني شهواني كان مهتماً بزواجه من النساء وتقريب أقاربه وابعاد غيرهم من العطاءات إلي غير ذلك من الشبهات الباطلة والافتراءات الكاذبة.

وعلي الجانب الآخر وجدنا بعض المفكرين والمستشرقين يقف موقف الإنصاف والحياد العلمي فيصف القرآن بأوصاف نبيلة مثل (ماري فولتر) يقول: أنني علي يقين أنه لو تم عرض القرآن والإنجيل علي شخص غير متدين لاختار القرآن ، إذ أن الكتاب الذي نزل علي صدر محمد صلي الله عليه وسلم يعرض في ظاهره أفكاراً تنطبق بالمقدار اللازم مع الأسس العقلية، ولعله لم يوضع قانون كامل للطلاق مثل الذي وضعه القرآن.

إذا فكل هذا التراث التفسيري كان موجوداً بين يدي المستشرقين نتيجة للاحتلال الغربي لبلاد الاسلام وكان الاستشراق هو المقدمة العلمية للاحتلال بلاد ينظرون في هذا التفسير ويؤخذون منه ما يكون سهام حرب للإسلام والمسلمين وسيوف قاتلة في قلب الدين .

وأختم بهذه الكلمة للمفكر "جوزيف دينان" إذا يقول:

كلما أحسست بالإجهاد وأردت أن تفتح لي أبواب المعاني والكمالات طالعت القرآن، حيث أنني لا أحس بالتعب أو الملل بمطالعته بكثرة، ولو أراد أحد أن يعتقد بكتاب نزل من السماء ، فإن ذلك الكتاب هو القرآن لا غير، إذ أن الكتب الأخري ليست لها خصائص القرآن. والله أعلم.

الفصل الثالث

التجديد في الدراسات القرآنية ومنها علوم القرآن

تناولنا في الجزء الأول من هذا البحث التجديد في مجال التفسير واخترنا منهجاً وسطا يجمع بين القديم والحديث وبين الأصيل والمعاصرة ونريد أن نبرز الموضوع في ضوء الدراسات القرآنية ومنها علوم القرآن فنقول وبالله التوفيق:

إن رؤيتنا للتجديد ليست بالجدة كل الجدة ولكن سبقنا إليها علماء قدامي ومعاصرون ونريد أن ندلو بدلونا في هذه القضية وهذا التجديد يتمثل في القراءة الجديدة للتراث واستحداث الوسائل والآليات واستخدم التكنولوجيا الحديثة لايصال العارف والمعلومات.

إن العلوم التي تضمنها القرآن المجيد لا تقع تحت الحصر فالقرآن باطلاقيَّته ينكشف في كل زمان عن معارف وعلوم وسنن ونواميس وقوانين بحسب السقف المعرفي للبشر في ذلك الزمان حتي يستمر العطاء الإلهي للبشر من النص القرآني الكريم:

التخصص الأول: علوم القرآن

يتناول هذا التخصص مفهوم الوحي وطبيعته والوحي المحمدي بصفة خاصة وأنواعه وكيفية نزول القرآن، والحكمة في نزوله منجماً، ثم جمعه وإعادة ترتيبه ثم يعرض لأهم العلوم التي تخصصت في القرآن الكريم ومدارسها ومنهاهجها وبيان ما لها وما عليها ، وتدرس كذلك موضوعات التحدي القرآني والاعجاز وما عرف بغريب القرآن، ومفرداته ، ثم يعرض لأمثلة من بيان معاني القرآن بلغات غير عربية فيما يعرف بـ (ترجمة معاني القرآن الكريم)

ثم يخلص التخصص إلي دراسة أثر البيئة والإنسان والثقافة في فهم القرآن وتفسيره. وذلك في ضوء المبادئ الاساسية للرسالة الخاتمة،

وعالميتها وخصائص الخطاب القرآني. ويشتمل هذا التخصص علي المقررات الآتية:

المقرر الأول: في التعريف بالقرآن المجيد:

يتناول هذا المقرر موقع القرآن من (نظرية المعرفة الإسلامية) ويتناول طبيعة خطاب القرآن، ويتناول قراءة القرآن في ضوء سنن الكون وقراءة الكون في ضوء هداية القرآن، وايراث العلاقة بين سوره واجزائه وآياته ثم ينتهي إلي عرض أهم المحاولات المعاصرة لتطوير منهجية للتعامل مع القرآن[١] ويتناول اسماء القرآن ودلالتها مثل: الفرقان – الذكر – الكتاب – التنزيل – النور – الهدي – الصراط المستقيم إلي آخره

ويتناول ما يمكن ابراز التحدي القرآني فيه أهو في التفرد البلاغي للبيان القرآني أو في صرف الناس عن محاكاته والاستجابة لتحديه سواء في عصر التنزيل أيام الرسول صلي الله عليه وسلم أو في خلاف الفرق الاسلامية في قضية خلق القرآن ، وكيفية تنزيل القرآن نجوماً خلال ثلاث وعشرون عاماً.

ويتناول أيضاً جمع القرآن وتدونيه ومتي سمي القرآن بالمصحف ودلالات قوله تعالي **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)** [٢]وهذا خاص بجمع وكتابة القرآن علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم.

ثم الجمع الشامل بآمر – عثمان بن عفان رضي الله عنه – بنسخ وكتابة (المصحف الإمام) من صحف حفصة بنت عمر بن الخطاب مروراً بجمع أبي بكر الصديق وتجويد المصحف العثماني مما ليس بقرآن وتتابع الأجيال الاسلامية في تجويد المصاحف العثمانية وتحسين كتابتها

(١) أزمات الانسانية والحل القرآني د/ طه جابر العلواني ج٢ ص٧٤ هدية هيئة كبار العلماء – مجلة الازهر عدد ذي الحجة ١٤٣٧هـ

(٢) سورة القيامة / ١٧

وبيان ما يتعلق بالتوقيف في ترتيب الآيات والسور واسماء السور ودلالاتها.

وتناول قضية علم (الناسخ والمنسوخ) ماله وما عليه وكيف نشآت أفكار النسخ حتي تحول إلي "نظرية ثابتة" في علوم القرآن وتأثرها ببعض النظريات اليهودية والخلاف بين النسخ والبداء.

واظهار جانب البعد التاريخي في دراسات (الظاهرة القرآنية) وبيان أهمية علم (أسباب النزول والمناسبات) مروراً بقضية (الأحرف السبعة) وعلم (المحكم والمتشابه) وكل هذه القضايا تحتاج حلا حاسماً، وقولا نهائية فيها.

المقرر الثاني: التفسير ومدارسه واتجاهاته:

هذا المقرر له جانب هام من دراسة التجديد لعلوم القرآن إذ يشتمل علي أنواع التفسير ومدارسه المختلفة وخاصة في مكة والمدينة والكوفة، ويقدم نماذج من تفاسير تلك المدارس وأصحابها وتلاميذها وذلك في إطار الموضوعات التالية:

(١) مدرسة تفسير البيان بالبيان أو القرآن بالبيان – الاتجاه اللغوي مثل تفسير الزمخشري كنموذجا مع التعرض للتأثير المتبادل بين علوم اللغة العربية وعلوم القرآن.

(٢) مدرسة تفسير القرآن بالمأثور: المنحني النقلي – كالطبري وابن كثير والسيوطي في الدر المنثور ، ويقدم نماذج لذلك.

(٣) مدرسة تفسير القرآن بالإشارة: التوجه الصوفي والعرفاني – كابن عجيبة في تفسيره، وابن عربي في تفسيره، والقشيري في لطائفه، والألوسي في تفسيره روح المعاني ويقدم نماذج لذلك.

(٤) مدي إمكانية الجمع بين الاتجاهات الثلاثة فيما يمكن أن يسمي بـ (منهج أواتجاه التفسير التكاملي)

(٥) عرض نماذج من التفاسير المعاصرة ومناقشتها: كتفسير المنار لمحمد رشيد رضا وتفسير ابن (٦) محاولات برهان لدين البقاعي في (نظم الدور في تناسب الآيات والسور) ثم جهود (عبد الحميد الفراهي) في ابراز أهمية التناسب ، والكشف عن عمود (الفضية الرئيسية) كالتوحيد أو الشريعة أو الأحكام في السورة، ومحاولات الدكتور (د/ عبد الله شحاته) في بيان أهداف ومقاصد السورة.

(٧) منهجية النظرة الكلية إلي القرآن باعتباره مستوعبا للتلون وحركته.

(٨) مناقشة الزعم القائل بوجود تعارض أو ما يوهم التعارض في الخطاب القرآني وبيان الوسائل التي اتبعها المسلمون في الخروج من ذلك فيما عرف تاريخيا بـ(مشكل القرآن) مما يؤدي إلي عرض آيات الكتاب الكريم بعضها علي البعض لإزالة ما يوهم التعارض ، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا، ويفصل بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا.

(٩) عرض الآيات التي يتوهم وقوع التعارض بينها علي الأحاديث النبوية المرفوعة الصحيحة والأحاديث القدسية الثابتة ، وعرض الحديث النبوي والحديث القدسي علي القرآن لإزالة الابهام والتخلص مما يوهم التعارض والتوكيد علي الصحة.

(١٠) وينتهي بـ(التأويل) وهو من الأسس التي كان المتقدمون من المفسرين وعلماء وعلوم القرآن يلجئون إليها لنفي التعارض عما يوهم التعارض. أو أنه كشف للمحذوف الكامن وراء المثبت، لأن ما يثبته النص يخدم ما يحذفه، وما يحذفه يخدم ما يثبته وهما – معا – أي المثبت والمحذوف يتممان فكرة الحضور

المقرر الثالث: القرآن والإيمان:

هذا المقرر علي جانب عظيم من الأهمية إذ يمس جانباً مهما من جوانب الحياة الاسلامية.

فيتناول هذا المقرر:

(١) (الإيمان والعقيدة) كما يعرضها القرآن الكريم قبل أن تتعرض لإقامة عناصر كثيرة لأسباب مختلفة ، ويوضح العلاقة بين القرآن وعلم الكلام، ويتناول الظروف الفكرية والسياسية والاجتماعية لنشأة (علم الكلام) ودوره الايجابي في بداياته في توضيح أركان {العقيدة الإسلامية} ثم يتناول تطور العلم وتحوله في إطار عقلية (تأزيم الحلول) إلي مفرق تنقسم عنده الأمة إلي فرق وشبع وأحزاب وجماعات تفائل بعضها بعضا.

(٢) ثم يتناول نشأة أهم هذه الفرق الكلامية أو محاور الاختلاف بينها، والمؤثرات التي أدت إلي ذلك وما انتهت إليه وذبولها، وجعلها سطراً في كتب التاريخ.

(٣) ثم يتناول ضرورة هذا العلم في تحليل وتقويم مختلف العقائد الدينية.

(٤) ثم يعرض لأهم قضايا علم الكلام سواء المتعلقة بالله – سبحانه وتعالي – أو بأفعال العباد، أو بالمشيئة الإنسانية ، ونظرية التكليف، ومصادر تقييم الفعل الانساني ومعاييره، ليؤدي هذا المساق إلي تطوير "رؤية قرآنية معاصرة للعقيدة" وهذا مما يسهل علي مفسر القرآن والمتحدث عن علوم القرآن وتوصيله إلي الناس بلغة سهلة وبسيطة بما يتناسب مع معطيات العصر الحديث وتطورات الحياة المتلاحقة.

(٥) تحويل علم الكلام إلي علم يجيب علي (الاسئلة الكلية) و(الاشكاليات النهائية) للوجود الانساني في الكون – وتمكين المفسرين وعلماء علوم القرآن المحدثين علي مواجهة موجة الالحاد المعاصرة والمذاهب الفكرية الهادمة لثوابت العقيدة وأصول الدين الحنيف المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

(٦) تجديد هذا العلم وتحليل قضاياه وإعادة تركيبه وقراءته "قراءة معرفية"، ليكون كما كان في بداياته أيام أبي الحسن الاشعري وأبي الحسن الماتريدي مجيباً علي الاسئلة التي تتفتق عنها عقول الناس، ويكون وسيلة لبناء الرؤية الكلية الاسلامية المعاصرة ، والتصور السليم، وتجديد النموذج المعرفي الاسلامي، وربط ذلك بالقرآن المجيد القطعي في ثبوته ودلالاته لئلا تخبو جذوة الايمان في قلوب أهله.

(٧) يتناول المقرر نظرية المعتزلة – كناحية تاريخية فقط – ترجيحهم العقل علي النقل وأصول المعتزلة الخمسة وهي العدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٨) ويسعي المقرر لبيان قيمة محاولة الإشاعرة إقامة توازن فلسفي توفيقي للتوسط بين العقل والنقل باعتبار الوحي مصدراً للتكليف والعقل – هبة الله للانسان – مصدراً للمعرفة.

(٩) ويتناول – أيضاً – ما عرف بـ (نظرية الكسب) لدي الأشاعرة وكيف اعتبروها نظرية توفيقية وسطية بين الجبر والاختيار.

واعتقد أن هذا سيحل كثير من المشاكل وخاصة عند تفسير آيات العقيدة ونظرة أهل السنة والمعتزلة لها واستخدامها بما يتناسب مع تطورات العلم الحديث وصياغتها في قالب جديد يتماشي مع الاكتشافات الكونية وعطاء النص القرآني المجيد وتضيين هوة الخلاف والشقاق بين أصحاب

المذاهب المختلفة في تناولهم لتفسير القرآن الكريم وتناول مباحث علوم القرآن واضافة ما يستلزمه الواقع المعاصر.

ولا ينسي المقرر هذا – أيضاً – ابراز جهود الرواد الكبار في هذا المجال وفي مقدمتهم الإمام أبو الحسن الأشعري والماتريدي والقاضي الباقلاني، وإمام الحرمين الجويني والغزالي وغيرهم مع اشارة إلي آية فروق قد تكون موجودة بين أشعرية المشرق والمغرب. (١)

كل هذا المقرر الذي سمي "بالايمان والعقيدة" هو ما يحتاج إليه المفسر والدارس والباحث في علوم القرآن حتي يخرج من القالب القديم ويستطيع أن يقدم خدمة جديدة يمكن أن تستخدم في تفسير القرآن وابراز عطاء الوحي الالهي للبشرية التي ما زالت تتخبط في غياهب الجهل والركون إلي النمط القديم والعيش أسيرة للماضي وتجاهل تطور العلم وواقع الناس وزيادة الكمية المعرفية (المعلوماتية) التي أضيفت للعلم وخاصة في القرن العشرين وظهور شبكة المعلومات الدولية المعروفة بـ (الشبكة العنكبوتية) أو مايسمي اختصاراً بـ (الانترنت) واستخدامه الرهيبة التي يمكن ان تستغل في نشر صحيح الدين من عقيدة وشريعة وأخلاق وسهولة التواصل بين الناس في شتي أنحاء المعمورة.

المقرر الرابع: القرآن وعلم الاجتماع الديني:

هذا المقرر علي جانب كثير من الأهمية حيث يتناول الجانب الاجتماعي أو الواقع الذي يطبق فيه الدين أي – علاقة الدين بالمجتمع – حيث يتناسي البعض طبيعة المجتمع الذي يطبق فيه الدين وخاصة ما

(١) أزمات الإنسانية والحل القرآني ج٢ / ص ٨٢ ، ٨٣.

يكون في المجتمعات البدائية أو المتحضرة – أو المجتمع ذو الثقافة العلمية العليا أو أصحاب؟ المعارف البسيطة،

وهذا علي خطورته وأهميته يُلزم المجددون في التفسير – خاصة – والدراسات القرآنية عامة بفهم طبيعة وخصائص المجتمع وظروفه وأهدافه حتي يأتي التفسير متسقاً مع واقع المجتمع.

ويهتم (علم الاجتماع) عموماً بدراسة المجتمع كنسق منظم للعلاقات الاجتماعية ، ودراسة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد ، والجماعات، والطبقات الاجتماعية المختلفة.

اما علم الاجتماع الديني – تحديداً – فيدرس في رأي المنظرين له تأثير الدين في المجتمع والثقافة والشخصية ، كما أنه بحسب اعتقادهم، يدرس عدداً من الموضوعات مثل : وظيفة الطقوس الدينية في المجتمع وتصنيف التنظيمات الدينية ، واستجابة هذه التنظيمات للنظام الاجتماعي العام، وأثر الحركات الدينية في المجتمع، والاجابة علي **السؤال الاساس في علم الاجتماع الديني وهو : ما هي العناصر السوسيولوجية والثقافية في الدين،**

ولذا لكل دين خصوصياته التي يضفيها بالضرورة ، علي علم الاجتماع الديني عند المشتغل به – كل بحسب عقيدته الدينية – سواء يهودية أو مسيحية أو هندوسية أو ليبرالية.

ولذلك أثرنا عدم استعمال عنوان (علم الاجتماع الاسلامي) وأثبتنا فقط مرجعيته إلي القرآن الكريم.

وهذا المقرر يمكننا من فهم وظيفة الطقوس الدينية ن عقيدة وشريعة وصلاة وزكاة وحج وأعمال الخير والابتعاد عن الشر ، وأيضاً نستطيع من خلاله القدرة علي تصنيف الجماعات الدينية وفهم طبيعتها ومرجعيتها

وتفسيراتها للدين كالسلفية (الدعوية – الجهادية – التكفيرية) وجماعة الاخوان المسلمين (الارهابية) وجماعات التكفير والهجرة وتنظيم {داعش} الإرهابي ، وجماعة بوكوحرام في نيجيريا وجبهة النصرة وفتح الشام وجماعة أبو سياف في الفلبين والشيعة في بلاد ايران والعراق واليمن والوهابية في السعودية والجماعات المسيحية كالكاثوليك والارثوذكس والبروكسانت، والتنظيمات اليهودية مثل اللوبي الصهيوني في امريكا وحزب (اسرائيل بيتنا) في فلسطين الممثلة كل هذا يوقفنا علي دور الدين في المجتمع وأثره وبناء أفكار صحيحة أو هدامية في المجتمع ينتج عنها نشر الأمن والأمان والرخاء أو بث الرعب والقتل والتدمير في نفوس الناس.

ونري أن هذا المقرر يشتمل علي الافكار أو الموضوعات الرئيسية الآتية:

(١) القرآن وبناء المجتمع علي أساس من القيم القرآنية بوضع مفهوم (الأمة) في القرآن وابراز القيمة الجامعة لمعني الأمة الاسلامية وخيرتها وتحميلها الرسالة من رب العالمين إلي قيام الساعة.

(٢) (الأمة) بوصفها مجتمعا ذا مستويات ثقافية وعرقية مختلفة تحت مظلة منظومة واحدة التي يشكل (التوحيد) درة عقدها.

يقول الاستاذ الدكتور/ حسين مؤنس: أمة الاسلام أمة الله أي عندما يكون الانسان عضواً فإن صلة الانسان بخالقه لا تكون في أكمل صورها إلا عن طريق الأمة، أب في جماعة المسلمين المعتصمة بحبل الله. لأن الاسلام ذروة رسالات الله للبشر ، ورسول الاسلام ذروة الكمال الانساني ، لأن الأمة هي حصن الاسلام ومعقل الايمان[١].

(١) الاسلام في عشرين آية دكتور/ حسين مؤنس ٦٧ ، ٦٨ دار الرشاد الطبقة الأولي ١٤١٤هـ – ١٩٩٣

وعندما نتحدث عن الأمة فمن الخير أن نستقبل حقيقتنا الانسانية كما هي:

فما اتصل بالعقل صقلناه بما يناسب من علوم.

وما اتصل بالقلب زكيناه بما يلائمه من تربية دينية ونصائح ايمانية.

وما اتصل بالجسد تعهدناه بما يتطلبه من زاد وعافية. (١)

(٣) مفهوم (العمران) في القرآن، ودوره، وغايته وهدفه في إعمار الكون واستمراره إلي قيام الساعة (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) **هود /٦١**

(٤) (بناء الاسرة) في القرآن، ودورها، وغايتها عن طريق الزواج الشرعي في إطار من القيم الأخلاقية.

(٥) الاتصال الجماعي Social contact في القرآن الاتجاهات والقيم والأدوار (النظام الجمعي) قال الله تعالي {وإنك لعلي خلف عظيم} **القلم/٤**

(٦) التكامل الاجتماعي Social Integration في القرآن الانماط المعيارية، والعمليات الرافعية والتوازن الوظيفي بمعني احتياج الأفراد لبعضهم ومساعدة كل واحد للأخر.

من خلال الآية **القرآنية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** (٢)

(١) ركائز الايمان بين العقل والقلب الشيخ/ محمد الغزالي ص٦٨ طبقة دار الشروق – مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

(٢) الحجرات /١٣

كنموذج للانطلاق في دراسة علاقات المجتمع الاسلامي مع بعضه ومع غيره من المجتمعات الانسانية المجاورة.

(٧) الضبط الاجتماعي Social control الحدود في القرآن كالسرقة والقتل والزنا وقذف المحصنات والربا... إلخ العقوبات الشرعية والقانونية والعرفية لضبط حياة المجتمع.

(٨) الضبط الذاتي Self – Control الامتثال للمعايير بوحي من الايمان والضمير **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ) المائدة/١٠٥**

(٩) القوامة الاجتماعية: الوالي – الفقيه – المحتسب – الزوج – مفهوم {ولي الامر} في القرآن **(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) النساء/٣٤.**

(١٠) اصلاح {ذات البين} في القرآن وعلم (فض المنازعات) والمحافظة علي السلامة النفسية للمجتمع. (فإتقو الله وأصلحوا ذات بينكم) **الانفال**[١]

(١١) رد الفئة الباغية عن غيها **(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)**آية الحجرات/٩و١٠ومواجهة الظلم في القرآن.

(١) أزمات الانسانية والحل القرآني ج٢ / ص ٨٥ ، ٨٦.

(١٢) تقويض القيم الاجتماعية السلبية في القرآن: الأنانية – شراهة التملك – إغماء حق اليتيم والمسكين والسائل.

(١٣) الزكاة: تزكية رأس المال الفردي والجماعي في القرآن **(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) آل عمران/٢٦**

(١٤) الصدقات: ودورها في تقليص ظاهرة الفقر والحد من العوز والحاجة.

(١٥) مفهوم البر وصلة الرحم في القرآن (التفاعل المجتمعي) ( ) **آية البقرة رقم ١٧٧**

(١٦) نظام المواريث في القرآن وعناية القرآن بهذا الجانب الاجتماعي الهام ( ) **آية النساء (١٢،١١)**

هذا المقرر قد يكون فيه ابراز لجانب – كما قلنا – علي قدر كبير من الأهمية لأنه يتمثل في اسقاط وانزال قيم الدين الخالدة علي واقع المجتمع الاسلامي ومعايشة الناس لهذه القيم الخالدة الضابطة لحركة الأفراد و المجتمعات.

المقرر الخامس: القرآن ومشكلات العالم المعاصر :

{اسهامات القرآن الكريم الحديثة في حل مشكلات العالم}

هذا هو ما يمكن أن ننطلق به لمخاطبة العالم المعاصر ويكون للإسلام والمسلمين وجوداً ملحوظاً وقوياً علي الساحة العالمية التي لا تعترف إلا بالاقوياء.

وهذا المقرر يمكن أن يتناول مشكلات العالم المعاصر، وأكثر حدة وتأثيراً، ويؤسس للحلول التي أقرها القرآن ضمنا لمعالجة هذه المشكلات انطلاقا من روح القرآن ومبادئه، ومعرفته بأمراض النفس وأهوائها، وأدواء العقول والغرائز ، أفراداً وجماعات.

ويشتمل علي الشكل التالي:

(١) هل هناك عقيدة للتطور (النمو إلي الخلف) والرجوع إلي آدم أبو البشر وتفكيك نظرية (دارون)

(٣) مسألة عولمة القيم (العولمة بكافة أنواعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية)، والحداثة/ وما بعد الحداثة) التحديث الصناعي ودور الآلة في حياة البشر.

(٤) مشكلة الفقر التي أصابت كثير من الناس نتيجة الحروب والنزاعات الإقليمية ، والفتن الطائفية والصراعات الإجتماعية والفروق الطبقية.

(٥) مشكلة المرض وظهور أنواع جديدة من الأمراض تفوق امكانيات البشر أحياناً.

(٦) مشكلة تدمير البيئة وتبوير الأراضي الزراعية وتلوث المياه وضعف الصرف الصحي.

(٧) مشكلة السوق الاحتكاري وتسلط بعض الدول علي مواد التصنيع وبراءات الاختراع كما في أوربا وأمريكا وشرق آسيا.

(٨) مشكلة الصراع العرقي والطائفي بين الشيعة وأهل السنة بين أصحاب البلاد الأصليين والأقليات الدينية والاجتماعية والتي يأججها القوي الاستعمارية والعناصر التخريبية.

(٩) مشكلة السيطرة ذات القطب الواحد (الاختلال في توازن القوي) والانفراد بقرار العالم واحتكار شرطي العالم.

(١٠) مشكلة تهميش الحاجة الروحية (النزعة الدينية والفطرة الانسانية) واستيعاب الضمير الأخلاقي لصالح العلم (الغاية تبرر الوسيلة) ، (والحاجة أم الاختراع).

(١١) مشكلة العنف الدولي والمحلي والاسري والفردي بكل أنواعه ونتائجه الرهيبة علي الجميع.

(١٢) مشكلة التفكك الاسري وانهيار سلطة الآب في المنزل واعتداءات الأولاد علي الآباء وضياع الأجيال، وانهيار الأخلاق.

(١٣) مشكلة الإدمان ، وقيام دول وحكومات وأفراد (المافيا) علي تروجيها وحمايتها ، وتحريم الاسلام لكل المسكرات.

(١٤) مشكلة تغييب الوعي وتعليبه وقولبته، والتلاعب الاعلامي بالعقول والجري وراء ما يسمي باتجاه الرأي العام وهذه أكذوبة كبري ، كما يؤكد ذلك علماء الاعلام.

(١٥) مشكلة المجتمع السلعي المستهلك، وغواية الاعلان.

(١٦) مشكلة إساءة استخدام مفهوم الحرية (حرية التعبير التي تصل إلي حد الوقاحة وازدراء الأديان – حرية الجنس وتسهيل فض الشهوات وحرية الكسب وعدم التعويل علي الحلال والحرام ....إلخ).

(١٧) مشكلة التهديد النووي وكابوس الغناء الانساني واتباع سياسات الردع النووية وصرف مقدرات الشعوب علي التسليح.

وتكديس الالات الحربية. مع ذكر قضية التدافع بين الناس **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله)** [١]

وتأتي مقاربات القرآن لموضوعات عامة يحتاج إليها العالم المعاصر في هذه الأيام ومنها:

التطور – الرفاهية – سلامة الجسد – المحافظة علي توازنات الطبيعة – وظيفة الثروة – القسمة العادلة – السلام الاجتماعي والدولي – اعلاء النزعة الروحية والنفسية – ترشيد الضمير الأخلاقي للعلم – استئصال العنف – يقظة العقل وغيابه – نبذا الغش والكذب – محاولة الرغبة الاستهلاكية عند الانسان – الحرية وشروطها – تفويض جنون القوة – القضاء علي احتمالات تدمير العمران علي الأرض.

كل هذا هو ما يحتاجه العالم اليوم من المسلمين ولا يحتاج منهم تقسيم العالم إلي دار إسلام ودار حرب ، لا يحتاج إلي قتل المسيحيين وتدمير كنائسهم، لا يحتاج إلي ارهاب المسلمين في شتي بلاد العالم، لا يحتاج إلي (الاسلام فوبيا) ، بل يحتاج إلي الاستقرار والبناء والتنمية والتعامل الطيب والجدال بالتي هي أحسن كما قال تعالي "**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا وقالوا أمنا بالذي أنزل إلينا وانزل إليكم والهنا والاهكم واحد ونحن له مسلمون**"[٢] وانطلاقا من قوله تعالي " **ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل سبيله وهو أعلم بالمهتدين**"[٣]

(١) الحج / ٤٠

(٢) سورة العنكبوت / ٤١

(٣) سورة النحل / ١٢٥

الخاتمة

بعد حمد الله تعالي في البداء والمنتهي ثم الصلاة علي النبي المصطفي وبعد هذه الجولة الطيبة في مجال تجديد الخطاب الديني وخاصة (التجديد في مجال التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية).

واعتمادنا علي الله تعالي أولاً واستئناسنا بأحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ورجوعاً إلي أقوال علمائنا الاجلاء ونظرتنا إلي هذه القضية ورؤيتنا لما نتنمي أن يكون عليه التجديد في مجال التفسير وعلوم القرآن.

نري أننا قد وصلنا إلي نهاية المطاف وعرضنا الخصائص خالصة لوجه الله عزوجل تحرينا فيها الصدق والأمانة العلمية والرؤية العلمية والنظرة المستقبلية وكان هدفنا اخراج جيل جديد يعرف قيمة القرآن ، ايجاد منهج جديد للتفسير وعلوم القرآن يتناسب مع الواقع الحديث وتطور العلوم والاكتشافات العلمية الجديدة.

فإن كنا قد وصلنا إلي هذه النتيجة فالحمد لله رب العالمين

وإذا أصبنا الصواب فهذا من فضل الله تعالي علينا (وما توفسقس إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)

وإن كانت الأخري – ونعوذ بالله منها – فهذا جهد المقل وان كان هناك خطأ فاننا نستغرف الله تعالي ونعوذ بالله من الزلالات وندعوه أن يلهمنا الصواب ويعفو عن الزلات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المراجع

القرآن الكريم:

المراجع مرتبة حسب الترتيب الأبجدي بدون "الألف واللام"

١- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ت(٥٠٥)هـ

٢- أزمات الانسانية والحل القرآني أ.د/ طه جابر العلواني هدية هيئة كبار العلماء مجلة الازهر الشريف – شهر ذي الحجة ١٤٣٧

٣- الإسلام في عشرين آية أ.د/ حسين مؤنس – دار الرشاد – الطبقة الأولي/ ١٤١٤ – ١٩٩٣م

٤- أقوال محمد بن كعب القرظي في التفسير د/ محمد إبراهيم أحمد رجب رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – جامعة الأزهر ٢٠٠٧م.

٥- الإكسير في علم التفسير – الطوفي – بدون تاريخ.

٦- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي.

٧- تفسير القرطبي للامام القرطبي دار الغد العربي الطبعة الثالثة ١٩٨٩ – ١٤٠٩هـ

٩- تهذيب التهذيب ابن كثير الدمشقي.

١٠- التفسير الكبير للإمام الرازي المسمي (مفاتيح الغيب)

١١- التفسير والمفسرون أ.د/ محمد حسين الذهبي الطبعة الرابعة مكتبة وهبه ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١٢- تفسير المنار محمد رشيد رضا – بدون تاريخ

١٣- ركائز الإيمان بين العقل والقلب – الشيخ / محمد الغزالي طبعة دار الشروق ضمن مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

١٤- سنن أبي داود – أبو داود

١٥- سنن الدارمي - الدارمي
١٦- سير أعلاء النبلاء - الذهبي
١٧- فضائل القرآن ابن سلام تحقيق: مروان العطية - محسن خرابة - وفاء تقي الدين دار ابن كثير دمشق / بيروت
١٨- مجلة الأزهر عدد شهر شعبان ١٤٣٦ - ٢٠١٥ جزء ٨ سنة ٨٨
١٩- مجلة الازهر عدد ذي القعدة وذي الحجة ١٤٣٦هـ - اكتوبر ٢٠١٥ ص١٢ سنة ٨٨
٢٠- المستدرك لأبي عبد الله الحاكم
٢١- المصطلح الأصولي د/فريد الأنصاري.
٢٢- المعجم الأوسط الطبراني.
٢٣- مفتاح العلوم السكاكي.
٢٤- المقاصد الحسنة السخاوي.
٢٥- مقدم في أصول التفسير ابن تيمية.
٢٦- موسوعة الإعلام الزركلي.